الفصل الثانى

من خطب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأهم وصاياه

من خطب أمير المؤمنين
الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

(١) خطبة للفاروق بعد موت الصديق

لما تُوفِّيَ أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ودُفن: صعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر يخطب الناس. وقال :

« **إنَّما مَثَلُ العربِ مَثَلُ جملٍ أنفٍ (١) اتَّبعَ قائدَهُ، فلينظرْ قائده حيثُ يقودُه، وأمَّا أنا فوربِّ الكعبةِ لأَحملنَّهمْ علَى الطريقِ ..**

[ذكره ابن الأثير فى «الكامل». وابن عبد ربه فى «العقد الفريد»، وتاريخ الطبرى(٤/ ٥٤)].

□□□

(٢) وخطبة أخرى للفاروق رضي الله عنه

وقال ابن قتيبة فى«عيون الأخبار» : لما ولى عمر رضي الله عنه صعد المنبر، فقال:

« **ما كانَ الله ليرانى أرى نفسى أهلاً لمجلس أبى بكر.**

---

(١) الأنف ـ بفتح فكسر ـ : الذلول. ويروى «آنف» بالمد. والصحيح الأول.. وفى الحديث: «المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإذا أنيخ على صخرة استناخ» أخرجه ابن المبارك فى «الزهد»، عن مكحول، مرسلاً.

ثم نزل عن مجلسه مرقاةً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

« اقْرَأوا القُرآنَ تُعْرَفُوا به، واعْمَلُوا به تَكُونوا مِنْ أهله، إنَّه لَمْ يبلغْ حَقُّ ذِى حَقٍّ أنْ يُطَاعَ فى معصيةِ الله، ألاَ وإنِّى أنزلتُ نَفْسِى مِنْ مالِ اللهِ بمنزلةِ وَالِى اليتيمِ، إنِ استغنيتُ عَففتُ، وإنِ افتقرتُ أكلتُ بالمعروفِ، تقرُّمَ البهمةِ(١) الأعرابيةِ، القَضْم لا الخضم»(٢).

[عيون الأخبار (٢ / ٢٣٥)، والعقد الفريد(٢/ ١٣٢)]

□□□

(٣) وخطبة أخرى للفاروق

وذكر الطبرى أن عمر رضي الله عنه خطب فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكَّر الناس بالله ـ عز وجل ـ واليوم الآخر، ثم قال :

« يَا أيُّها الناسُ.. إنِّى قد وُلِّيْتُ عليكم، ولولاَ رجاءُ أنْ أكونَ خيرَكم لكم، وأَقْوَاكم عَليكم، وأشدَّكم اسْتِضْلاَعاً (٣) بما يَنُوب مِنْ مُهِمِّ أُمورِكم، ما توليتُ ذلكَ منكم، ولكفى عُمَر مهماً مُحزناً انتظار موافقةِ

(١) تقرم الصبى، أى: أكل أكلاً ضعيفاً، وذلك فى أول أكله. البهمة : أولاد الضأن والمعز والبقر.
(٢) القضم : الأكل بأطراف الأسنان. والخضم : الأكل بأقصى الأضراس.
(٣) أى: قوة عليه. والذى فى كتب اللغة : (اضطلاع).

الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها، ووَضْعِها أينَ أضعُها، وبالسيرِ فيكم كيفَ أسيرُ، فربَّى المستعان، فإنَّ عُمرَ أصبحَ لا يثقُ بقوةٍ ولا حيلةٍ إنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللهُ - عزَّ وجلَّ - برحمتِه وعونِه وتأييدِه ».

[تاريخ الطبرى (٥/ ٢٥). وشرح ابن أبى الحديد (٣/ ١٢٤)]

(٤) وخطبة أخرى للفاروق رضي الله عنه

ثم خطب رضي الله عنه، فقال :

«إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - قَدْ ولَّانى أَمْرَكُمْ، وقَدْ علمتُ أنفعَ مَا بِحَضْرَتِكُمْ لَكُم، وإنِّى أسألُ اللهَ أنْ يُعيننى عليه، وأنْ يَحرسنى عنْدَه كَما حَرَسَنى عندَ غيرِه، وأنْ يُلهمنى العدْلَ فى قسمكُمْ كَالذى أَمَرنى به، وإنّى امرؤٌ مسلمٌ وعبدٌ ضعيفٌ، إلا ما أعانَ اللهُ عزَّ وجلَّ، ولنْ يُغَيِّرَ الذى وُلِّيْتُ مِنْ خِلافتكم مِنْ خُلقى شيئاً إنْ شاءَ الله، إنَّما العظمةُ لله عزَّ وجلَّ، وليسَ للعبادِ منها شيءٌ، فلا يقولنَّ أحدٌ منكم إنَّ عمرَ تغيَّر منذُ وُلِّى، أعقلُ الحقَّ مِنْ نَفْسِى، وأتقدَّمُ وأبيِّنُ لكم أَمْرِى فأيُّما رجلٍ كانتْ له حاجةٌ، أو ظُلِمَ مظلمةً، أو عتبَ علينا فى خُلُقٍ فَلْيُؤذِنّى[1]، فإنَّما أنا

(١) أى: فليخبرنى؛ لأن المؤمن مرآة أخيه.

رجلٌ منكم، فَعليكم بِتَقْوَى الله فى سِرِّكم وعَلانِيتكم وحُرماتكم وأَعراضِكم، وأَعطوا الحقَّ مِنْ أَنفسكم، ولا يحملْ بعضُكم بعضاً عَلَى أنْ تَحاكموا إلىَّ، فإنَّه ليسَ بَينى وبينَ أحدٍ منَ الناسِ هوادةٌ، وأنا حبيبٌ إلى صَلاحكم، عَزيزٌ على عَنَتِكُمْ، وأنتم أناسٌ عَامَّتُكُمْ حَضَرٌ فى بلادِ الله، وأهلُ بلدٍ لا زرعَ فيه ولا ضرعَ، إلا ما جاءَ الله به إليه، وإنَّ الله - عَزَّ وجَلَّ - قد وَعدكم كرامةً كثيرةً، وأنا مسئولٌ عَنْ أَمانتى ومَا أنا فيه، ومُطَّلِعٌ علَى مَا يَحضرنى بنَفْسى إنْ شاءَ الله، لا أَكِلُهُ إلى أحدٍ، ولا أستطيعُ ما بعدَ منهُ إلاَّ بالأمناءِ وأهلِ النُّصحِ منكمْ للعامةِ، ولستُ أجعلُ أمَانتى إلى أحدٍ سِوَاهُم إنْ شاء الله ».

[تاريخ الطبرى (٥/ ٢٦)، وشرح ابن أبى الحديد (٣/ ١٢٤)]

(٥) وخطبة أخرى للفاروق رضي الله عنه لما ولى الخلافة

وقال ابن عبد ربه : خطب عمر رضي الله عنه - إذْ وَلِىَ الخلافة - صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

« يا أيُّها الناسُ .. [إنَّى داعٍ] فأمِّنوا، اللهمَّ إنَّى غليظٌ فَلَيِّنِّى لأَهْلِ طاعتكَ بموافقةِ الحقِّ ابتغاءَ وجهكَ والدارِ الآخرةِ، وارزقْنى

الغِلْظَةَ والشدةَ على أعدائكَ، وأهلِ الدعارةِ [1] والنِّفاقِ، مِنْ غيرِ ظلمٍ لهم، ولا اعتداءٍ عليهمْ.

اللهمَّ إنى شحيحٌ فَسَخِّنى فى نوائبِ المعروفِ قَصْداً من غيرِ سَرَفٍ ولا تبذيرٍ ولا رياءٍ ولا سمعةٍ، واجْعَلْنى أَبتغى بذلكَ وَجْهَكَ والدارَ الآخرة. اللهمَّ ارْزُقْنى خَفْضَ الجناحِ، ولِيْنَ الجانبِ للمؤمنين.

اللهمَّ إنّى كثيرُ الغفلةِ والنسيانِ، فَأَلْهِمْنى ذِكْرَكَ عَلَى كلِّ حالٍ، وذِكْرَ الموتِ فى كلِّ حِيْنٍ.

اللهمَّ إنّى ضعيفٌ عن العملِ بطاعتكَ، فَارزقْنى النَّشاطَ فيها، والقوةَ عليها، بالنيةِ الحسنةِ التى لا تكونُ إلا بعِزَّتِكَ وتوفيقكَ.

اللهمَّ ثَبِّتْنى باليقينِ والبرِّ والتَّقوى، وذِكْرِ المقامِ بينَ يديكَ، والحياءِ منكَ، وارزقْنى الخشوعَ فيما يُرضيكَ عنّى، والمحاسبةَ لنَفْسى، وإصْلاحَ السَّاعاتِ[2] والحذرَ من الشُّبهات.

اللهمَّ ارزقْنى التَّفكُّرَ والتَّدبُّرَ بما يتلوهُ لِسانى مِنْ كتابكَ، والفَهْمَ لَهُ، والمعرفةَ بمعانيه، والنظرَ فى عجائبه، والعملَ بذلكَ ما بقيتُ، إنَّكَ علَى كلِّ شىءٍ قديرٌ.

---

(١) أى: أهل الفجور.

(٢) أى: عدم إضاعة الوقت فى غير طاعة الله والعمل الصالح.

اللهمَّ لا تَدَعْنِى فى غَمْرَةٍ (١)، ولا تَأخُذْنِى علَى غِرَّةٍ، ولا تَجْعَلْنِى مِنَ الغافلين ».

[العقد الفريد (٢/ ١٣٣)]

(٦) وخطبة للفاروق رضي الله عنه فى التقوى والأمر بالمعروف

وخطب عمر رضي الله عنه يوماً، فقال :

«أيُّها الناسُ .. اتَّقوا اللهَ فى سَريرتكم وعَلانيتكم، وأمُرُوا بالمعروفِ وانْهَوا عَنِ المنكرِ، ولا تَكونوا مثلَ قومٍ كانوا فى سفينةٍ فأقبلَ أَحدُهم علَى موضعٍ يَخرقهُ فَمنعوه، فقالَ : هُوَ مَوْضعِى ولِى أنْ أَحكُمَ فيه، فإنْ أَخذوا علَى يديه سَلِمَ وسَلِمُوا، وإنْ تَركوهُ هَلَكَ وهَلَكُوا مَعَهُ، وهذا مَثَلٌ(٢) ضَربتُه لَكُمْ ـ رَحِمَنا اللهُ وإيَّاكُمْ».

[ذكره ابن عبد ربه فى «العقد الفريد»]

---

(١) الغمرة ، أى: الانهماك فى الباطل.

(٢) أخذه من حديث شريف أخرجه البخارى أوله : « مثل القائم فى حدود الله .. ».

(٧) خطبة جامعة للفاروق

وخطب عمر رضي الله عنه سنة ٢٣ هـ فحمد الله ،وأثنى عليه، وصلى على النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ثم قال :

« أيُّها الناسُ .. إنَّ بعضَ الطمعِ فقرٌ. وإنَّ بعضَ اليأسِ غِنَى، وإنَّكُمْ تَجمعونَ ما لا تَأكلونَ، وتَأملونَ مَا لا تُدركونَ، وأنتم مؤجلونَ فى دار غرورٍ، كُنتم عَلَى عَهْدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم تُؤخذون بالوَحْيِ، فَمَنْ أَسرَّ شَيئاً أُخذَ بسريرته، ومَنْ أعلنَ شيئاً أُخذَ بعلانيته، فأَظهروا لنا أَحْسَنَ أَخلاقكم، واللهُ أعلمُ بالسَّرائر، فإنَّه مَنْ أظهرَ لنا قَبيحاً وزعمَ أنَّ سَريرتَهُ حَسنةٌ لَمْ نُصدِّقْهُ. ومَنْ أظهرَ لنا علانيةً حسنةً ظَنَنَّا به حَسناً، واعْلَمُوا أنَّ بعضَ الشُّحِّ شعبةٌ مِنَ النِّفاق، فَأَنفقوا خيراً لأنفسكم :

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

أيُّها الناسُ .. أَطيبوا مَثْواكم (٢) وأَصْلِحوا أُموركم، واتَّقوا اللهَ رَبَّكُمْ، ولاَ تُلْبِسُوا نِساءكم القَباطىَّ (٣) فإنَّه إنْ لَمْ يَشِفَّ فإنَّه يَصِفُ.

أيُّها الناسُ.. إنِّى لَوَدِدْتُ أنْ أَنجوَ كَفافاً لا لى ولا علىَّ، وإنِّى لأَرجو إنْ عُمِّرْتُ فيكم يَسيراً أو كثيراً أنْ أعملَ بالحقِّ فيكم إنْ شاءَ

---

(١) سورة الحشر : ٩. (٢) المثوى ـ بفتح فسكون ـ : المنزل.

(٣) القباطى ـ بضم أوله وتشديد آخره ـ : ثياب كتان بيض رقاق . وشَفَّ الثوب يشفُّ : رقَّ فحكى ما تحته ووصفه وحدَّده؛ لرقته.

الله، وألاَّ يبقى أحدٌ منَ المسلمينَ وإنْ كان فى بيته إلاَّ أتاهُ حَقُّهُ ونَصيبُه منْ مالِ اللهِ وإنْ لَمْ يُعْمِلْ إليه نَفْسَهُ، ولَمْ يُنْصِبْ إليه بَدَنَهُ، وأَصْلِحوا أموالَكم التى رَزقكم اللهُ، ولَقليلٌ فى رفقٍ خيرٌ من كثيرٍ فى عُنفٍ. والقتلُ حَتْفٌ منَ الحتوفِ، يُصيبُ البرَّ والفاجرَ، والشهيدُ منَ احتسبَ نَفْسَهُ، وإذا أرادَ أَحدُكم بَعيراً فَلْيَعْمَدْ إلى الطويلِ العظيمِ فَلْيَضْرِبْهُ بِعَصًا، فَإنْ وَجَدَهُ حديدَ الفؤادِ فَلْيَشْتَرِه».

[تاريخ الطبرى (٥/ ٢٩)، وشرح ابن أبى الحديد (٣/ ١٢٥)]

(٨) خطبة أخرى جامعة للفاروق

وخطب عمر رضي الله عنه فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

«أمَّا بعدُ .. فإنِّى أُوصيكم بتَقْوَى اللهِ الذى يَبْقَى ويَفْنَى ما سِوَاه، الذى بطاعتِه يُكْرِمُ أَولياءه، وبمعصيتِه يُضِلُّ أَعْدَاءه، فليسَ لهالكٍ معذرةٌ فى فعلِ ضلالةٍ حَسِبَها هُدًى، ولا فى تَرْكِ حَقٍّ حَسِبَهُ ضلالة، تَعلَّمُوا القُرآنَ تُعْرَفوا به، واعْمَلوا به تَكُونوا منْ أهله، فَإنَّه لَمْ تبلغْ منزلةُ ذى حقٍّ أنْ يُطاعَ فى مَعْصِيَةِ اللهِ، واعْلَموا أنَّ بينَ العبدِ وبينَ رزقِه حِجَاباً، فإنْ صبرَ أتاهُ رِزقُه، وإنِ اقتحمَ هَتَكَ الحجابَ ولم يُدْرِكْ

فَوقَ رزقِه، وإيَّاكمْ وأَخْلافَ العَجَمِ، ومُجَاورةَ الجبابرةِ، وأنْ تَجلسوا على مَائدةٍ يُشربُ عليها الخمرُ، وأنْ تدخلوا الحَمَّامَ بغيرِ مئزرٍ، وإيَّاكم والصَّغَارَ أنْ تَجعلوه فى رِقَابكم، واعْلَموا أنَّ سِبابَ المسلمِ فُسوقٌ وقِتالَهُ كفرٌ، ولا يَحِلُّ لكَ أنْ تهجرَ أخاكَ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ، ومَنْ أتى سَاحِراً أو كاهناً أو عَرَّافاً[1] فَصدَّقَهُ بما يقولُ فقدْ كفرَ بما أُنزلَ على محمدٍ ﷺ، لا يَخْلُونَّ رَجُلٌ بامْرَأةٍ، فإنَّ الشَّيطانَ ثَالثُهما، ومَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَةٌ وسَرَّتْهُ حسنةٌ، فهو أمَارةُ المسلمِ المؤمنِ، وشرُّ الأمورِ مُبتدعاتُها، وإنَّ الاقتصادَ[2] فى سُنَّةٍ خيرٌ منَ الاجتهادِ فى بدعةٍ، وحَاسبُوا أنفسَكم قبلَ أنْ تُحاسَبوا، فإنَّه أهونُ لحسَابكم، وزِنُوا أنفسَكُمْ قبلَ أنْ تُوزَنُوا، وتَزَيَّنُوا للعَرْضِ الأكبرِ يومَ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى منكمْ خافيةٌ، عَليكمْ بهَذا القُرآنِ فإنَّ فيه نوراً وشِفاءً، وغَيرهُ الشَّقاءُ، وقد قضيتُ الذى علىَّ فيما وَلاَّنى اللهُ - عَزَّ وجلَّ - مِنْ أُمورِكم، ووَعظتُكم نُصْحاً لَكُم، أَقولُ قَوْلِى هَذا وأستغفرُ اللهَ لِى ولَكُمْ ..

[أخرجه الحاكم، وابن عساكر]

---

(١) وهو الذى يدَّعى - كذباً - معرفة الأسرار.

(٢) أى: الاعتدال، والاتِّباع.

(٩) خطبة للفاروق
فى وصف الدنيا والتحلى بالفضائل

وخطب عمر رضي الله عنه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

« إنَّما الدنيا أملٌ مُخْتَرَمٌ، وأَجَلٌ منتقضٌ، وبلاغٌ إلى دارٍ غيرها، وسيرٌ إلى الموت ليسَ فيه تَعريجٌ (١) فَرَحِمَ الله امرءًا فَكَّرَ فى أَمْرِه، ونَصَحَ لنفسه، وراقبَ رَبَّهُ، واستقالَ ذنبَهُ (٢)، بئسَ الجارُ الغنى، يَأخذُكَ بما لا يُعطيكَ منْ نفسه، فإنْ أبيتَ لَمْ يعذركَ، إيَّاكمْ والبِطْنَةَ(٣) فإنَّها مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلاةِ، ومَفْسَدَةٌ للجِسْمِ، ومؤدِّيةٌ إلى السُّقمِ، وعليكم بالقَصْدِ فى قُوْتِكم فَهو أبعدُ منَ السَّرفِ وأصحُّ للبَدَنِ، وأَقوى على العِبَادة، وإنَّ العبدَ لنْ يهلكَ حتَّى يُؤثِرَ شَهوتَهُ عَلَى دينه ».

[ذكره الشيخ حمزة فى «المواهب»]

❑❑❑

(١٠) وخطبة جامعة له رضي الله عنه

وخطب عمر رضي الله عنه أيضاً ، فقال :

---

(١) التعريج، أى: الإقامة. (٢) أى: طلب إقالته من ذنبه بالتوبة.

(٣) البطنة ـ بكسر فسكون ـ : امتلاء البطن من الطعام.

« إنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ، وبِحَمْدِه ـ قد اسْتَوجبَ عليكم الشكرَ، واتخذَ عَليكم الحُجَجَ فِيْمَا آتاكُم من كرامةِ الآخرةِ والدُّنيا مِنْ غيرِ مَسْألةٍ منكمْ لَهُ، ولا رغبةٍ منكمْ فيه إليه، فخلَقكم ـ تَبارك وتَعالى ـ ولَمْ تكونُوا شَيئاً لنفْسه وعبادته، وكانَ قَادراً أنْ يَجْعلَكم لأَهْونَ خَلْقه عليه، فجعلَ لَكُمْ عَامَّةَ خَلْقه، ولَمْ يَجعلْكمْ لشيءٍ غيره، وسَخَّرَ لَكُم ما فى السَّموات وما فى الأرض، وأَسْبغَ عليكمْ نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً، وحَملكم فى البَرّ والبحر، ورزقكم منَ الطَّيبات لعلكُم تَشكرونَ، ثُمَّ جعلَ لكم سَمْعاً وبَصراً، ومِنْ نِعَمِ اللهِ عَليكم نِعَمٌ عَمَّ بها بَنى آدمَ، ومنها نِعَمٌ اختَصَّ بها أهلَ دِينكُمْ، ثم صارتْ تلكَ النِّعمُ خَواصُّها وعَوامُّها فى دَولتكمْ وزَمانكم وطبَقتكم، وليسَ مِنْ تِلْكَ النِّعمِ نِعْمَةٌ وصلَتْ إلى امْرئٍ خاصَّةً إلا لَو قَسَّمَ ما وَصلَ إليه منْها بينَ الناسِ كُلِّهم أَتْعَبَهُمْ شُكْرُها، وفَدَحَهُمْ حقُّها إلا بعَوْنِ اللهِ معَ الإيمانِ باللهِ ورسوله، فأنتمْ مُسْتَخْلَفونَ فى الأرض، قاهرونَ لأهْلِها، قَدْ نَصرَ اللهُ دِينكُمْ، فلَمْ تُصْبحْ أُمَّةٌ مُخالفةً لدينكمْ إلاَّ أُمَّتانِ، أمَّةٌ مُستعبَدةٌ للإسلامِ وأهله، يَتَّجِرونَ لَكُم تستصفون[1] مَعايشهم وكَدائحهم ورَشْحَ جباههمْ، عَليهم المَنونةُ ولَكُمُ المنفعةُ، وأُمَّةٌ تنتظرُ وقائعَ اللهِ وسَطواته فى كلِّ يومٍ وليلةٍ، قَدْ ملأَ اللهُ قُلوبَهم رعباً، فليسَ لهم مَعقلٌ يلجأونَ إليه، ولا مهربٌ يتقونَ به، قَدْ دَهمَهُمْ جنودُ

(١) استصفى الشيء، أى: أخذ منه صفوه.

اللهِ عَزَّ وجلَّ، ونزلتْ بساحتهم مع رفاغةِ (١) العَيْشِ، واستفاضةِ المالِ، وتتابُعِ البُعُوثِ، وسَدِّ الثُّغورِ - بإذنِ اللهِ - فى العافيةِ الجليَّةِ العامَّةِ، التى لم تكنْ هذهِ الأمَّةُ على أحسنِ منها مُذْ كانَ الإسْلامُ، واللهُ المحمودُ معَ الفتوحِ العظامِ فى كلِّ بلدٍ، فماَ عسَى أنْ يبلغَ معَ هذا شُكْرُ الشاكرينَ، وذِكْرُ الذاكرينَ، واجتهادُ المجتهدينَ، معَ هذهِ النِّعمِ التى لا يُحْصَى عَدَدُها، ولا يُقَدَّرُ قَدْرُهَا، ولا يُستطاعُ أداءُ حقِّها، إلا بعونِ اللهِ ورحمتِه ولطفِه؛ فنسألُ اللهَ الذى لا إلهَ إلا هوَ - الذى أبلانا هذا - أنْ يرزقنا العملَ بطاعتِه، والمسارعةَ إلى مرضاتِه، فاذكُروا - عبادَ اللهِ - بلاءَ اللهِ عندكُم، واستتمُّوا نعْمةَ اللهِ عليكُم، وفى مجالسِكُم مَثْنَى وفُرَادَى، فإنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - قالَ لموسَى (عليه السلام) :

﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

وقالَ لمحمد ﷺ :

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الأَرْضِ ﴾ (٣).

فلو كُنتمْ إذ كنتمْ مُستضعَفينَ محرومينَ خيرَ الدُّنيا على شعبةٍ منَ الحقِّ تؤمنونَ بِهَا وتستريحونَ إليْهَا، معَ المعرفةِ باللهِ ودينِه، وترجونَ

---

(١) الرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب والسعة.

(٢) سورة إبراهيم : ٥ .

(٣) سورة الأنفال : ٢٦.

بها الخيرَ فيما بعدَ الموت لكانَ ذلكَ، ولكنَّكم كُنتم أشدَّ الناس معيشة، وأعظمَ الناس بالله جهالة، فلو كانَ هذا الذى ابتلاكمْ به لَمْ يكنْ معَهُ حظٌّ فى دُنياكم، غَيْرَ أنَّهُ ثقةٌ لكُم فى آخرتكُم، التى إليْها المعادُ والمنقلبُ، وأنتمْ منْ جهد المعيشة على ما كنتمْ عليه، كُنتم أحرياءَ أنْ تشحُّوا على نَصيبكم منهُ، وأنْ تظهروه على غيره فبَلْه [1] ما أنه قدْ جمعَ لكم فضيلةَ الدُنيا، وكرامةَ الآخرة، أو لمنْ شاءَ أن يجمعَ له ذلكَ منكم. فأُذكّركم اللهَ الحائلَ بينكُم وبينَ قُلوبكم، إلا ما عَرفتم حقَّ الله فعملتُم له، وقَسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعْتُم مع السُرور بالنّعم خوفاً لزوالها ولانتقالها، ووجَلاً منْ تحويلها، فإنَّه لا شىءَ أسْلَبُ للنعمة منْ كُفرانها، وإنَّ الشكرَ أمنٌ للغيَر [2] ، ونماءٌ للنعمة، واستجلابٌ للزيادة، وهذا لله علىَّ منْ أمْركم ونهيكم واجبٌ ..

[تاريخ الطبرى (٥/ ٢٧)، وشرح ابن أبى الحديد(٣/ ١٢٥)]

(١١) وخطبة أخرى للفاروق

وخطب عمر رضي الله عنه أيضاً، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

---

(١) بله : اسم فعل بمعنى (دع، واترك).

(٢) أى: أحداث الزمان.

« أيُّهـا الناسُ .. مَنْ أرادَ أن يَسْـألَ عَنِ القـرآنِ، فَلْيَـأتِ أُبىَّ بنَ كَـعْبٍ، ومَنْ أرادَ أن يَسْـألَ عن الفَـرائض، فليَـأتِ زيدَ بن ثابتٍ، ومَنْ أرادَ أنْ يَسْألَ عَنِ الفقْهِ فَلْيَأتِ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، ومَنْ أرادَ أن يَسْألَ عَنِ المالِ فَليـأتنى، فـإنَّ اللهَ جَعلنى لـه خَازِناً وقَاسِماً، إنّى بادئٌ بأزواجِ رسـولِ اللهِ ﷺ فَمُعْطِيهنَّ ، ثُمَّ المهَاجِرينَ الأوَّلـينَ الذينَ أُخْرِجُـوا مِنْ دِيارِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ أنا وأَصْحَابى، ثُمَّ بالأنْصَارِ الذينَ تَبوَّأوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قَبلِهم، ثمَّ مَنْ أسرعَ إلى الهجرةِ أسرعَ إليه العَطاءُ، ومَنْ أبطأ عَنِ الهـجرةِ أَبطأَ عنهُ العَطاءُ؛ فلا يلومنَّ رجلٌ إلا مَناخَ راحلتـه. إنّى قَدْ بقيتُ فِيكُم بعدَ صَاحِبىَّ، فابتُليتُ بِكُم، وابتُليتُمْ بِى، وإنّى لنْ يَحضرنى مِنْ أُمـورِكم شىءٌ فَـأَكِلُهُ إلى غيـرِ أهلِ الجزاءِ والأمانةِ، فلئنْ أحسنوا لأُحسننَّ إليهمْ، ولئنْ أَسَاءوا لأُنكّلنَّ بِهمْ ».

[العقد الفريد (٢/ ١٣٢)]

□□□

(١٢) خطبة أخرى له رضي الله عنه

وخطب رضي الله عنه أيضاً، فقال :

« الحمدُ لله الذى أعزَّنا بالإسلام ، وأكْرَمَنا بالإيمان، ورَحمنا بنبيِّه ﷺ ، فهَدَانَا به من الضَّلالَة، وجمَعَنَا به من الشَّتَات وألَّفَ بين قُلوبنا، ونَصرَنَا على عدوِّنا، ومكَّنَ لنا فى البلاد، وجعَلَنَا به إخْوَاناً مُتَحَابِّين، فاحْمَدُوا اللهَ على هذه النِّعْمة، واسْأَلوهُ المزيدَ فيها والشُّكْرَ عَلَيها، فإنَّ اللهَ قَدْ صَدَقَكُم الوَعْدَ بالنَّصر على مَنْ خَالفَكم ، وإيَّاكم والعملَ بالمَعاصى، وكُفْرَ النعمة، فقَلَّمَا كفَرَ قومٌ بنعمةٍ، ولمْ يَنزعوا إلى التوبة، إلا سُلبُوا عزَّهُمْ، وسُلِّطَ عَلَيهم عَدُوُّهُمْ.

أيُّها النَّاسُ .. إنَّ اللهَ قَدْ أعزَّ دعوةَ هذه الأمَّة، وجمعَ كَلمَتَها، وأظهرَ فَلَجَها[1] ونَصرها وشَرَّفها، فاحْمَدُوه ـ عبادَ الله ـ على نعمه واشْكُروهُ على آلائه، جعَلَنَا اللهُ وإيَّاكم من الشَّاكرين ».

[العقد الفريد (٢/ ١٣٢)]

(١٣) وخطبة أخرى له رضي الله عنه

وخطب عمر رضي الله عنه الناس ، فقال :

« والَّذى بَعَثَ محمداً بالحقِّ لو أنَّ جَمَلاً هلكَ ضياعاً بشَطِّ الفُرات، خَشيتُ أنْ يَسألَ اللهُ عنه آلَ خَطَّاب ».

---

(١) الفلج: الظفر، والفوز.

قال أبو زيد :

« آلَ الخطابِ » يعنى: نفسه، ما يعنى غيرها.

[تاريخ الطبرى (٥/ ١٨)]

(١٤) وخطبة له أيضاً رضي الله عنه

وخطب رضي الله عنه أيضاً، فقال :

« أيُّها الناسُ .. إنَّه أتَى علىَّ حينٌ وأنا أحسبُ أنَّ مَنْ قرأَ القرآنَ إنما يريدُ به اللهَ ومَا عندَهُ، ألاَ وإنَّه قَدْ خُيِّلَ إلىَّ أنَّ أَقْوَاماً يقرأونَ القرآنَ يريدونَ به ما عندَ الناس، ألاَ فأَريدوا اللهَ بقراءتكم، وأَريدوه بأعْمَالكم، فإنما كُنَّا نَعرفكُم إذ الوَحْىُ ينزلُ، وإذ النبىُّ ﷺ بينَ أَظهرنا، فقدْ رُفِعَ الوحىُ، وذهبَ النبىُّ ﷺ ، فَإنما أَعْرِفُكم بما أقولُ لكم، ألاَ فمَنْ أظهرَ لنا خيراً ظَنَنَّا به خيراً، وأَثنينا به عليه، ومَنْ أظهرَ لنا شَرّاً ظَنَنَّا به شَرّاً وأَبغضناهُ عليه، اقدعُوا (١) هذه النفوسَ عَنْ شَهواتها، فإنَّها طلعةٌ(٢) وإنكم إلاَّ تَقدعُوها تنزعْ بكُمْ إلى شرٍّ غايةٍ، إنَّ هذا الحقَّ ثقيلٌ مَرِىء(٣) ، وإنَّ الباطلَ خفيفٌ وَبِىء(٤) ، وتَرْكُ الخطيئةِ خيرٌ

(١) قدعه، كمنعه : أى: كفه .
(٢) أى: تكثر التطلع إلى الشىء.
(٣) أى: حميد العاقبة.
(٤) أى: وخيم العاقبة.

مِنْ معالجةِ التوبةِ، ورُبَّ نظرةٍ زَرعتْ شهوةً، وشهوةِ ساعةٍ أورثتْ حُزناً طويلاً».

وفى رواية صاحب «العقد الفريد»:

«ألاَ وإنّى إنما أبعثُ عُمَّالى ليعلّموكم دِينكم وسُنَّتكم، ولا أبعثهم ليضربوا ظُهوركم، ويأخذوا أموالكم، ألا مَنْ رَابَهُ شىءٌ مِنْ ذلكَ فليرفعهُ إلىَّ، فوالذى نفسى بيدِه لأقصَّنكم منه».

فقام عمرو بن العاص، فقال:

«يا أميرَ المؤمنينَ.. أرأيتَ إنْ بعثتَ عاملاً مِنْ عُمَّالكَ، فَأَدَّبَ رجلاً مِنْ رَعيَّتكَ فَضَربَهُ،أتقصُّه منه؟».

قال عمر:

«نعم، والَّذى نفسُ عُمَرَ بيدِه لأَقصنَّه منْهُ؛ فقدْ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقصُّ مِنْ نَفْسِه».

وفى رواية الطبرى:

وخطب عمر رضي الله عنه الناس يوم الجمعة، فقال:

«اللهمَّ إنّى أُشهدكَ على أمراءِ الأمْصَار، أنّى إنما بعثتُهم ليعلّموا الناسَ دِينهم وسُنَّةَ نَبيهم، وأنْ يُقيموا فيهمْ فَيْئَهُمْ، وأنْ يَعدلوا، فإنْ أَشْكَلَ عليهم شىءٌ رفعوه إلىَّ (١)».

---

(١) أشكل الأمر: التبس.

« يا أيُّهـا الناسُ .. إنّى ـ واللهِ ـ مـا أُرسلُ إليكُم عُـمّـالاً لِيـضـربوا أَبْشَـارَكُمْ، ولاَ لِيـأخـذوا أَمـوالكم، ولكنّى أُرسلهم إليكُم لِيعلّموكم دِينكم وسُنَّتكم، فَمَنْ عُمِلَ بهِ شيءٌ سِوَى ذلكَ فليرفعْهُ إلىَّ، فوالذى نفسُ عمرَ بيدهِ لأقصنَّه مِنْهُ ».

فوثب عمرو بن العاص، فقال :

« يا أميرَ المؤمنينَ .. أرأيتكَ إنْ كَانَ رجلٌ من أمراءِ المسلمينَ على رَعيَّةٍ فأدَّبَ بعضَ رَعيتهِ إنكَ لتقصنَّه منه ؟» .

قال عمر:

«إىْ، والذى نفسُ عمرَ بيدهِ؛ إذنْ لأقصنَّه منه، وكيفَ لا أقصُّه منه وقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقصُّ منْ نفسه ؟.. ألاَ لا تَضربوا المسلمينَ فتذلُّوهم، ولا تُجَمِّرُوهم فَتفتنوهمْ، ولا تَمنعوهمْ حَقَّهم فتُكَفِّروهم، ولا تُنزِلوهمُ الغِيَاضَ فَتضيِّعوهمْ ».

[البيان والتبيين (٣/ ٧١)، وصبح الأعشى (١/ ٢١٤)، والعقد الفريد (٢/ ١٣٢)، وتاريخ الطبرى (٥/ ١٩)] .

(١٥) خطبة له فى عام الرمادة

وخطب عمر ﷺ عام الرمادة(١) بالعباس رحمه الله : حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال :

« أيُّها الناسُ .. اسْتَغفروا رَبَّكم إنه كَانَ غَفَّاراً، اللهمَّ إنّى أستغفركَ وأتوبُ إليكَ، اللهمَّ إنَّا نتقربُ إليكَ بعمّ نبيكَ وبَقِيَّةِ آبائه وكبارِ رجاله، فإنكَ تقول - وقولك الحق - :

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ (٢) .

فَحفظتهمَا لِصَلاحِ أَبيهما، فاحْفَظِ اللهمَّ نبيكَ فى عَمّه، اللهمَّ اغفرْ لنَا إنكَ كنتَ غَفَّارًا، اللهمَّ أنتَ الرَّاعى لا تُهملُ الضَّالَّة، ولا تَدَعُ الكَسيرةَ بمضيعةٍ، اللهمَّ قَدْ ضَرَعَ الصَّغيرُ ورَقَّ الكبيرُ، وارتفعتِ الشَّكوى، وأنتَ تعلمُ السِّرَّ وأَخْفَى، اللهمَّ أَغِثْهم بغياثكَ، قبلَ أن يَقنطوا فَيهلكوا، فإنَّه لا ييأسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلا القومُ الكافرونَ » .

---

(١) فى السنة الثامنة عشرة هجرية أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها، فكانت تسفى إذا ريحت تراباً كالرماد، فسمى ذلك عام الرمادة [تاريخ الطبرى ٤ / ٢٢٣].

(٢) سورة الكهف : ٨٢.

فما برحوا حتى علَّقوا الحذاء، وقلَّصوا المآزر، وطفق الناسُ بالعباس يقولون : « هنيئاً لك يا ساقيَ الحرمين ».

[ذكره ابن عبد ربه فى العقد الفريد]

(١٦) خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على أبى بكر الصديق رضي الله عنه

وبلغه رضي الله عنه أن قوماً يفضِّلونه على أبى بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فوثب مُغْضَباً حتى صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال :

« أيُّها الناسُ .. إنِّى سَأُخبركم عنِّى وعَنْ أبى بكرٍ، إنَّه لما تُوفِّىَ رسولُ اللهِ ﷺ ارتدَّت العربُ، ومَنعتْ شاتَها وبَعيرها، فأجمعَ رأينا كُلِّنا أصْحَابِ محمدٍ ﷺ أنْ قلنا له : يا خليفةَ رسولِ اللهِ .. إن رسولَ اللهِ كانَ يقاتلُ العربَ بالوَحْىِ والملائكةِ يمدُّه اللهُ بهم، وقد انقطعَ ذلكَ اليومَ، فالزمْ بيتكَ ومَسجدك، فإنَّه لا طاقةَ لكَ بقتالِ العَربِ، فقالَ أبو بكرٍ : أَوكُلُّكُمْ رأيُه علَى هذَا ؟. فقلنا : نَعم. فقال : واللهِ لئنْ أَخرُّ مِنَ السَّماءِ فَتخطفنى الطَّيرُ، أَحَبُّ إلىَّ مِنْ أنْ يكونَ رَأيى هذا، ثمَّ صعدَ

المنبرَ، فحَمِدَ الله، وكبَّرَ، وصلَّى على نبيه ﷺ ، ثُمَّ أقبلَ علَى الناسِ، فقال :

أيُّها الناسُ .. مَنْ كانَ يعبدُ محمداً، فإنَّ محمداً قد ماتَ، ومنْ كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ.

أيُّها الناسُ .. أنىٰ كثرَ أعداؤكم، وقَلَّ عَددُكم، ركبَ الشيطانُ منكم هذا المركَب ؟ ..واللهِ ليُظْهِرَنَّ اللهُ هذا الدِّينَ علَى الأديانِ كُلِّها، ولو كَرِهَ المشركونَ، قَوْلُهُ الحقُّ، ووَعْدُه الصِّدْقُ، بَلْ نقذفُ بالحقِّ علَى البَاطِلِ فَيدمغه فإذا هو زَاهِقٌ. وكَمْ مِنْ فئةٍ قليلةٍ غلبتْ فئة كثيرةً بإذنِ اللهِ، واللهُ معَ الصَّابرين.

واللهِ أيُّها الناسُ .. لو مَنعونى عِقَالاً (١) لجَاهدتُهم عليه، واستعنتُ عليهمْ باللهِ وهو خيرُ مُعين ..

ثم نزل (٢).

[تهذيب الكامل (١/ ٨)]

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم، أو المراد به الحبل، مبالغة فى التشديد.

(٢) أى: نزل عمر من فوق المنبر بعد أن ألقى خطبته.

من وصايا عمر رضي الله عنه:
لأمراء جيوشه فى فتح فارس

كان عمر رضي الله عنه قد ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيبانى إلى أهل فارس، قبل صلاة الفجر، من الليلة التى مات فيها أبو بكر رضي الله عنه ـ بعد أن أوصاه أبو بكر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه [1] ـ وكان وجه فارس من أكره الوجوه إلى المسلمين، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم، وشوكتهم، وعزهم، وقهرهم الأمم ـ وجعل عمر يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس إلى العراق، فكان أول منتدب: أبو عبيد بن مسعود الثقفى ـ والد المختار ـ وتتابع الناس، وتكلم المثنى بن حارثة، فقال:

« **أيُّها الناسُ .. لا يعظمنَّ عليكم هذا الوَجْه، فإنَّا قد تَبحبحنا[2] ريفَ فارس، وغَلَبْنَاهم على خير شِقَّى السَّواد، وشَاطرناهم ونِلنا منهمْ، واجْتَرأنا مَنْ قِبَلنا عليهم، ولهَا إنْ شاءَ اللهُ ما بَعْدَها** ».

---

(١) وذلك لأن المثنى بن حارثة الشيبانى أمير جيش العراق كان قد قدم المدينة على أبى بكر ليستمدَّه فألفاه مريضاً، فوصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه.

(٢) تبحبح، أى: تمكن فى المقام والحلول. وتبحبح الدار: توسَّطها.

(١٧) خطبة عمر رضي الله عنه

ثم قام عمر رضي الله عنه فى الناس ، فقال :

« إنَّ الحجازَ ليسَ لكم بدارٍ إلا على النجعة [١] ولا يُقْوَى عليه إلا بذلك، أينَ الطُّراء [٢] المهاجرونَ عن موعود الله ، سيروا فى الأرض التى وَعدكم الله فى الكتاب أنْ يورثكُموها، فإنَّه قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[٣] والله مُظْهِرُ دينه، ومُعِزُّ ناصِرِه، ومُولِّى أَهْلِه مَواريثَ الأُمم، أينَ عِبادُ الله الصَّالحون ؟» .

فلما اجتمع له البعث أمَّر عليهم أولهم انتداباً [٤]،وهو: أبو عبيد. وقال له :

« اسمعْ منْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، وأَشْرِكْهم فى الأَمر، ولا تجتهدْ مُسرعاً حتَّى تَتبيَّنَ؛ فإنَّها الحربُ، والحربُ لا يصلحها إلا الرجلُ المكيثُ[٥] الذى يعرفُ الفرصةَ والكفَّ » .

[تاريخ الطبرى (٤/ ٦٠)، والكامل لابن الأثير (٢/ ٢١١)]

---

(١) أى: طلب الكلأ فى موضعه.

(٢) جمع طارئ ، من طرأ عليهم، أى : أتاهم من مكان أو خرج عليهم منه فجأة.

(٣) سورة التوبة : ٣٣ ، وسورة الفتح: ٢٨، وسورة الصف : ٩ .

(٤) ندب القوم إلى الأمر : دعاهم وحثهم ، وانتدبوا إليه : أسرعوا.

(٥) أى: الرزين.

وصية عمر لأبى عبيد بن مسعود

ثم تقدم عمر رضي الله عنه إلى أبى عبيد بن مسعود، فقال موصياً إياه :

« إنَّكَ تُقدِمُ علَى أرضِ المكرِ والخديعةِ، والخيانةِ والجبريةِ، تُقدمُ علَى قومٍ قد جَرأوا على الشرِّ فعلَموه، وتناسَوا الخيرَ فَجَهلوه، فانظرْ كيفَ تكونُ، واخزنْ لسانكَ، ولا تفشينَّ سرَّكَ، فإنَّ صاحبَ السِّرِّ ـ ما ضَبطهُ ـ متحصَّنٌ لا يُؤتَى مِنْ وَجْهٍ يكرهه، وإذا ضيَّعه كان بمضيعةٍ » .

[تاريخ الطبرى(٤ / ٦٦)]

❑❑❑

(١٨) خطبة عمر فى جيش سعد بن أبى وقاص المتوجه لحرب العراق

وحين شيَّع عمر رضي الله عنه جيش سعد بن أبى وقاص الذى كان متوجهاً لحرب العراق، قام فى الناس خطيباً، فقال :

« إنَّ الله تعالى إنما ضربَ لكم الأمثال، وصرفَ لكم الأقوالَ، ليُحيى بها القلوبَ، فإنَّ القلوبَ ميتةٌ فى صُدورها حتَّى يُحييها الله، مَنْ علمَ شيئاً فلينتفعْ به، وإنَّ للعدلِ أَماراتٍ وتباشيرَ، فأما الأماراتُ : فالحياءُ، والسَّخاء، والهِينُ ، واللِّينُ، وأما التباشيرُ : فالرَّحمةُ، وقَدْ جعلَ اللهُ لكلِّ

أمرٍ باباً، ويَسَّرَ لكلّ بابٍ مِفتاحاً، فبابُ العدلِ الاعتبارُ، ومِفتاحهُ الزُّهد، والاعتبارُ ذِكْرُ الموتِ بتذكُّر الأموات، والاستعدادُ له بتقديمِ الأعمالِ، والزهدُ أخذُ الحقّ من كلّ أحدٍ قِبَلَهُ حقّ، وتأديةُ الحقّ إلى كلّ أحدٍ له حقٌ، ولا تُصانِعْ فى ذلكَ أحداً، واكتفِ بما يكفيه منَ الكفاف، فإنَّ مَنْ لم يَكْفِه الكفافُ، لَمْ يُغنه شيءٌ، إنّى بَينكم وبينَ اللهِ، وليسَ بَينى وبينهُ أحدٌ، وإنَّ اللهَ قَدْ ألزمنى دفعَ الدُّعاءِ عنه، فأنهوا شكاتكم إلينا، فمَنْ لم يستطعْ، فإلى مَنْ يُبلغناها، نأخذْ له الحقَّ غيرَ مُتعتع ».

[تاريخ الطبرى (٤/ ٨٥)]

وصيته لسعد بن أبى وقاص رضي الله عنه حين أمَّره على حرب العراق

« يا سعدَ سعدِ بنى وهيبٍ، لا يَغرنَّكَ من الله أنْ قيلَ خالُ رسولِ اللهِ ﷺ، وصاحبُ رسولِ اللهِ، فإنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - لا يَمحو السَّيئَ بالسيئ، ولكنه يمحو السَّيئَ بالحسنِ، فإنَّ اللهَ ليسَ بينه وبينَ أحدٍ نسبٌ إلا طاعته، فالناسُ شَريفهم ووَضيعهم فى ذاتِ اللهِ سواء، اللهُ ربُّهم وهم

عباده، يتفاضلونَ بالعافية، ويدركونَ ما عندَه بالطاعة، فانظرِ الأمرَ الذى رأيتَ النبىَّ ﷺ منذ بُعِثَ إلى أنْ فَارَقَنا فالزمْهُ، فإنَّه الأمرُ، هذه عِظَتِى إيَّاكَ، إنْ تَرَكْتَهَا ورَغِبتَ عنها حَبِطَ عَمَلُكَ، وكنتَ مِنَ الخاسرينَ».

[تاريخ الطبرى (٤ / ٨٤)، والكامل لابن الأثير (٢ / ٢٢٠)]

❑❑❑

ووصيته لسعد بن أبى وقاص رضي الله عنه لما أراد أن يوجهه إلى العراق

« إنِّى قدْ وَلَّيتكَ حربَ العراقِ، فاحفظْ وَصيَّتى فإنكَ تقدمُ على أَمْرٍ شديدٍ كريهٍ، لا يخلصُ منه إلا الحقُّ، فَعَوِّدْ نفسكَ ومَنْ معكَ الخيرَ واستفتحْ به، واعلمْ أن لكلِّ عادةٍ عَتاداً (١)، فعتادُ الخيرِ الصَّبْرُ، فالصَّبْرَ الصَّبْرَ على ما أصَابَكَ أو نَابَكَ ، يَجتمعْ لكَ خشيةُ الله، واعلمْ أنَّ خشيةَ الله تجتمعُ فى أَمرين : فى طاعتهِ، واجتنابِ معصيته، وإنَّما أطاعَهُ مَنْ أطاعَهُ ببُغضِ الدُّنيا وحُبِّ الآخرةِ، وعَصَاه مَنْ عَصَاه بحُبِّ

(١) العتاد : العدة.

الدُّنيا وبُغض الآخرة، وللقلوب حقائقُ يُنشئها الله إنشاءً، منْهَا السِّرُّ، ومنها العَلانية. فأما العلانيةُ فأنْ يكونَ حامدُه وذامُّه فى الحقّ سَواء، وأما السِّرُّ فيُعرفُ بظهور الحكمة منْ قلبه على لسانه وبمحبة الناس، فلا تَزهدْ فى التحبُّب، فإنَّ النبيينَ قد سألوا محبتهم ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ عَبْداً حبَّبهُ، وإذا أبغضَ عَبْداً بغَّضهُ، فاعْتَبرْ منزلتكَ عندَ الله تعالى بمنزلتكَ عندَ الناسِ ممنْ يشرعُ معكَ فى أمْرِكَ . .

[تاريخ الطبرى (٤ / ٨٥)]

ووصية أخرى كتبها عمر رضي الله عنه
إلى سعد بن أبى وقاص ومن معه من الأجناد

« أمَّا بعدُ .. فإنّى آمركَ ومَنْ معكَ منَ الأجنادِ بتَقْوَى الله على كلّ حالٍ؛ فإنَّ تَقْوَى الله أفضلُ العُدَّة على العدوّ، وأقوى المكيدة فى الحرب. وآمركَ ومَنْ معكَ أنْ تكونوا أشدَّ احتراساً منَ المعاصى منكم منْ عَدوِّكم، فإنَّ ذنوبَ الجيشِ أخوفُ عَليهم منْ عَدوِّهم، وإنما يُنصَرُ المسلمونَ بمعصيةِ عَدوِّهم لله، ولولا ذلكَ لم تكنْ لنا بهم قوةٌ، لأنَّ عَدَدَنا ليسَ كعددهم، ولا عُدَّتنا كعُدَّتهم، فإنِ استَوينا فى المعصية كانَ لهم الفَضْلُ علَينا فى القوة، وإلاَّ نُنصرْ علَيهم بفَضْلنا لَمْ نَغلبْهم بقُوَّتنا،

فاعْلَموا أنَّ عَليكم فى سَيركم حَفَظَةً منَ اللهِ يَعلمونَ ما تَفعلونَ، فاسْتَحيوا منهُمْ ولا تَعْمَلوا بمعاصى اللهِ وأنتم فى سَبيلِ اللهِ، ولا تَقولوا إنَّ عَدوَّنا شَرٌّ منَّا، فَلَنْ يُسلَّط عَلينا، فَرُبَّ قومٍ سُلِّط عَليهم شَرٌّ منْهم كَما سُلِّط عَلَى بَنى إسْرَائيل (١) كُفَّارُ المَجُوسِ؛ فَجَاسُوا خلالَ الديارِ وكانَ وَعْداً مَفْعولاً، واسْألوا اللهَ العونَ علَى أنفسكم، كما تَسألونه النصرَ على عدوِّكم. أسألُ اللهَ تَعالى ذلكَ لنَا ولكُم.

وتَرفَّقْ بالمسلمينَ فى مَسيرِهم، ولا تُجشِّمهم مَسيراً يُتعبهم، ولا تقصرْ بهمْ عن منزلٍ يَرفقُ بهم، حتَّى تَبلغوا عدوَّهم والسفرُ لم ينقصْ قُوَّتهم؛ فإنَّهم سائرونَ إلى عدوٍّ مُقيمٍ، حَامى الأنفسِ والكراعِ(٢)،وأَقِمْ بمنْ معكَ فى كلِّ جمعةٍ يوماً وليلةً، حتَّى تكونَ لهم راحةٌ يحيونَ فيها أنفسَهم، ويَرمُّونَ(٣) أَسلحتَهم وأَمتعتهم، ونَحِّ منازلَهم عَنْ قُرى أهلِ الصُّلح والذِّمَّة، فَلا يَدخلْها منْ أصْحَابكَ إلا مَنْ تثقُ بدينه، ولا يَرزأ أحداً منْ أَهلها شيئاً، فإنَّ لهم حُرمةً وذمَّةً ابتُليتُم بالوفاءِ بها، كَما ابتُلوا بالصَّبرِ عَليها. فما صَبروا لكُم فَتولُّوهم خيراً، ولا تَستنصروا على أهل الحربِ بظُلمِ أهلِ الصُّلْح.

وإذا وَطِئتَ أرضَ العَدوِّ فَأَذْكِ (٤) العيونَ بينكَ وبَينهم، ولا يَخْفَ عليكَ أَمْرُهم، وليكنْ عندكَ منَ العَربِ، أو منْ أهلِ الأرضِ مَنْ تطمئنُّ

(١) عندما عملوا بمساخط الله.
(٢) الكراع من كل شىء : طرفه، واسم يجمع الخيل.
(٣) رمه يرمه : أصلحه.
(٤) أذكى عليه العيون : إذا أرسل عليه الطلائع.

إلى نُصحه وصدْقه، فإنَّ الكذوبَ لا ينفعكَ خبَرُهُ وإنْ صدَقَكَ فى بعضه، والغاشُّ عينٌ عليكَ وليسَ عَيناً لكَ، وليكنْ منكَ عندَ دُنُوّكَ منْ أرضِ العدوِّ أنْ تُكثر الطلائعَ، وتبثَّ السَّرايا[1] بينكَ وبينَهم، فتَقْطَعَ السَّرايا أَمْدادَهُم ومَرافقهم، وتَتْبَعَ الطلائعُ عوراتهم، وتَنَقَّ [2] للطلائعِ أهلَ الرأى والبأسِ منْ أصحابكَ، وتَخيَّرْ لهم سوابقَ الخيلِ، فإنْ لَقوا عَدُوّاً كانَ أولَ ما تَلقاهم القوَّةُ منْ رأيكَ، واجعلْ أَمْرَ السَّرايا إلى أهلِ الجهادِ، والصَّبرِ على الجلادِ، ولا تخصَّ بها أحداً بهوًى ، فتُضيِّعَ منْ رأيكَ وأَمْركَ أكثرَ مما حابيتَ به أهلَ خاصَّتكَ، ولا تبعثَنَّ طليعةً ولا سريَّةً فى وَجْهٍ تتخوفُ فيه غلبةً أو ضيعةً ونكايةً، فإذا عاينتَ العدوَّ، فاضْمُمْ إليكَ أقاصيكَ وطلائعكَ وسراياكَ، واجمعْ إليكَ مكيدتكَ وقُوَّتكَ، ثُمَّ لا تُعاجلْهم المناجزةَ ـ ما لَمْ يستكرهكَ قتالٌ ـ حتَّى تبصرَ عورةَ عدوِّكَ ومقاتله، وتعرفَ الأرضَ كلَّها كمعرفةِ أهلها، فتصنعَ بعدوِّكَ كصنعه بكَ، ثُمَّ أَذْكِ أحراسكَ على عسكركَ، وتَيَقَّظْ من البيات جهدكَ، ولا تُؤتَى بأسيرٍ ليسَ له عقدٌ [3] إلا ضربتَ عُنقه، لتُرْهبَ به عدوَّ اللهِ وعدوَّكَ. واللهُ وليُّ أَمْركَ ومَنْ معكَ، ووليُّ النَّصرِ لكُم على عدوِّكم .. واللهُ المستعانُ » .

[العقد الفريد (١ / ٤٠)]

---

(١) السرايا : جمع سرية، وهى من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة.

(٢) تنقاه وانتقاه: اختاره.

(٣) عقد : عهد.

درس فى الشورى

ومن أعظم ما ينبغى علينا أن نسجله هنا ـ حتى يعلم الولاة بالذات كيف كانت الشورى أساساً فى جميع الفتوحات .. سواء كان هذا فى حياة الرسول ﷺ أم بعده ـ أنه لما نزل سَعْدٌ بهُرَسِير ـ وهى المدينة الدنيا ـ طلب السُّفُن ليعبر بالناس إلى المدينة القُصوى (على نهر دجْلة) فلم يقدر على شىء، ووجدهم قد ضموا السفن، فجمع الناسَ، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال :

نص خطبة سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه

«إنَّ عَدوَّكم قد اعتصمَ منكم بهذا البحرِ، فلا تَخلصُونَ إليه معه، وهم يخلصونَ إليكم إذا شَاءوا، فَيناوشُونكم فى سُفنهم ، وليسَ وراءكم شىءٌ تخافونَ أنْ تُؤتَوْا منه، فقد كَفاكُمُوه أهلُ الأيامِ، وعَطلوا ثُغورهم، وأَفْنَوا ذادتهم. وقد رأيتُ مِنَ الرأى أنْ تُبادروا جهادَ العدوِّ بنِيَّاتكم قبلَ أنْ تَحصركم الدُّنيا، ألاَ إنّى قد عزمتُ على قطعِ هذا البحرِ إليهم».

فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعل.

واقتحم دجلة وفتح المدينة القصوى (سنة ١٦ هـ).

[تاريخ الطبرى (٤ / ١٧٠)]

ولما تجمعت جموع الفرس بنَهاوَنْد كتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فاجتمع الناس .. وقام عمر رضي الله عنه على المنبر خطيباً، فأخبرهم الخبر، واستشارهم، وقال :

(١٩) نص خطبة عمر رضي الله عنه

«هذا يومٌ له ما بَعْدَهُ من الأيام، ألاَ وإنّى قدْ هَممتُ بأَمْرٍ وإنّى عارضُه عَليكم فاسمعوه، ثم أخبرونى وأوجزوا، ولا تَنازعوا فَتفشلوا وتَذهبَ رِيحُكم، ولا تُكْثِرُوا ولا تُطيلوا فتفشَغَ[1] بكم الأمورُ، ويلتوى عَليكم الرَّأى. أفمِنَ الرأى أنْ أَسير فيمنْ قِبلِى ومَنْ قدَرتُ عليه، حتَّى أَنزلَ منزلاً وسطاً بينَ هذين المِصْرَين فأَستنفرهمْ ثُمَّ أكونَ لهم رِدْءًا حتَّى يفتحَ اللهُ عَليهِمْ ويَقضى ما أحبَّ، فَإنْ فتحَ اللهُ عَليهم أنْ أُضرِّيَهُم عَليهمْ فى بِلاَدِهم ليتنازَعُوا مُلكهم».

فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه ورجال من أهل الرأى ـ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلموا كلامًا، فقالوا :

نص الكلمة

«لا نَرى ذلك، ولكنْ لا يغِيبنَّ عنهم رأيك وأَثَرك».

---

(١) فشغه كمنعه، أى: علاه حتى غطاه.

وقالوا :

«بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم ومَنْ قد فَضَّ جُموعهم، وقتلَ مُلوكهم، وباشرَ منْ حروبهم ما هو أعظم منْ هذه، وإنما اسْتَأذنوكَ ولم يستصرخوكَ فَأْذَنْ لَهم واندبْ إليهم وادعُ لهم».

[تاريخ الطبرى (٤ / ٢٣٧)]

وقام على بن أبى طالب رضي الله عنه فقال :

نص الخطبة

«أصابَ القومُ - يا أميرَ المؤمنينَ - الرأىَ، وفهموا ما كُتبَ به إليكَ، وإنَّ هذا الأمرَ لم يكنْ نصره ولا خُذلانه لكثرةٍ ولا قِلَّةٍ، هو دينه الذى أظهره، وجُنده الذى أَعزَّه وأيَّدهُ بالملائكة حتَّى بلغَ ما بلغَ، فنحنُ على موعودٍ من الله، واللهُ منجزُ وَعْده، وناصرُ جُنده، ومَكانُكَ منهم مكانُ النظامِ من الخرزِ يَجمعه ويُمسكهُ، فَإنِ انحلَّ تَفَرَّق ما فيه وذهبَ، ثم لم يجتمعْ بحذافيره أبداً، والعربُ اليومَ وإنْ كانوا قليلاً فهى(١) كثيرٌ عزيزٌ بالإسلام، فأقمْ واكتبْ إلى أهلِ الكوفة. فهم أعلامُ العربِ ورؤساؤهم، ومَنْ لم يَحفِلْ بمنْ هو أجمعُ وأحدُّ وأجدُّ منْ هؤلاء، فليأتهم الثُّلُثَان وليقم الثُّلثُ، واكتبْ إلى أهلِ البصرةِ أن يمدُّوهم ببعضِ مَنْ عندهم».

---

(١) أى: أمة العرب.

فَسُرَّ عُمر ﷺ بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم.

[تاريخ الطبرى (٤ / ٢٣٧)]

وقام طلحة بن عُبيد الله، وكان من خطباء رسول الله ﷺ فتشهَّد، ثم قال :

نص خطبة طلحة بن عبيد الله ﷺ

«أمَّا بعدُ .. يا أميرَ المؤمنين، فقدْ أحكمتَكَ الأمورُ، وعَجَمَتْكَ(١) البَلايا، واحْتَنَكتْكَ (٢) التجاربُ، وأنتَ وشأنكَ، وأنتَ ورأيك، لا نَنْبُو فى يديكَ ولا نَكِلُ عليكَ، إليكَ هذا الأمرُ فَمُرْنا نُطِعْ، وادعُنَا نُجِبْ، واحملنا نَركبْ، ووَفْدُنا نَفِدْ، وقُدْنا نَنْقَدْ، فإنَّكَ وَلِىُّ هذا الأمرِ، وقَدْ بلوتَ وجَرَّبْتَ واختبرتَ، فلم يَنْكَشِفْ شىءٌ من عواقِبِ قضاءِ الله لكَ إلاَّ عن خيارٍ».

ثم جلس.

[تاريخ الطبرى (٤/ ٢٣٨)]

فعاد عمر ﷺ فقال :

«إنَّ هذا يومٌ له ما بعدَهُ من الأيامِ؛ فتكلَّموا».

فقام عثمان بن عفان ﷺ فتشهَّد، وقال :

---

(١) عجم العود : عضه ليعرف صلابته من خوره. (٢) أى : أحكمتك.

نص خطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه

«أرى - يا أميرَ المؤمنينَ - أن تكتبَ إلى أهلِ الشَّام فَيَسيروا منْ شأمهم[1]، وتكتبَ إلى أهل اليمنِ فيَسيروا من يَمنهم، ثم تسيرَ أنتَ بأهلِ هذينِ الحرمينِ إلى المِصْرَين : البَصْرة والكُوفة، فتلقى جميعَ المشركينَ بجمعِ المسلمينَ. فإنَّكَ إذا سرتَ بمن معكَ وعندكَ، قَلَّ فى نفسكَ ما قد تَكَاثَرَ منْ عددِ القومِ، وكنتَ أعزَّ عِزّاً وأكثرَ، يا أميرَ المؤمنين، إنَّكَ لا يَستبقى منْ نفسكَ بعدَ العَربِ باقية، ولا تَمتنعُ منَ الدُّنيا بعزيزٍ، ولا تلوذُ منْها بحريزٍ، إنَّ هذا اليومَ له ما بعدَه منَ الأيامِ، فاشهدْهُ برأيكَ وأعوانكَ ولا تَغِبْ عنه».

ثم جلس.

[تاريخ الطبرى (٤ / ٢٣٨)]

فعاد عمر رضي الله عنه فقال :

«إنَّ هَذا يومٌ له ما بعدَه من الأيامِ؛ فتكلَّموا».

فقام على بن أبى طالب رضي الله عنه، فقال :

---

(١) أى : الشام.

نص خطبة على بن أبى طالب رضي الله عنه

«أمَّا بعدُ - يا أميرَ المؤمنين - فإنَّكَ إنْ أَشخصتَ أهلَ الشَّامِ منْ شَأمِهم، سَارتِ الرومُ إلى ذَرَارِيِّهمْ، وإنْ أَشخصتَ أهلَ اليمنِ منْ يَمنهم، سارتِ الحبشةُ إلى ذَرَارِيِّهمْ، وإنَّكَ إنْ شخصتَ منْ هذه الأرضِ، انتقضتْ عليك الأرضُ منْ أَطرافِها وأَقطارِها، حتَّى يكونَ ما تدعُ وراءكَ أهمَّ إليكَ مما بينَ يديكَ منَ العَوراتِ والعِيالاتِ، أَقْرِرْ هؤلاءِ فى أمصَارِهم، واكتبْ إلى أهلِ البصرةِ فَلْيَتفرقوا فيها ثلاثَ فرقٍ: فلتقمْ فرقةٌ لهم فى حُرَمِهم وذَرَارِيِّهم، ولتقمْ فرقةٌ فى أهلِ عَهْدِهم لئلاَّ يَنتقضوا عَليهم، ولتسرْ فرقةٌ إلى إخوانِهم بالكُوفةِ مَدَداً لهم.

إنَّ الأعاجمَ إنْ يَنظروا إليكَ غداً، قَالوا : هَذا أميرُ العربِ وأَصْلُ العَربِ، فكانَ ذلكَ أشدَّ لكَلَبِهِمْ وأَلْبَتِهِمْ (١) على نفسكَ، وأمَّا ما ذَكرتَ منْ مَسيرِ القومِ فإنَّ اللهَ أكْرَهُ لمسيرهم منكَ، وهو أَقْدَرُ على تَغييرِ ما يكرهُ، وأمَّا مَا ذكرتَ منْ عَدَدِهم فإنَّا لم نكنْ نُقاتلُ فيما مَضَى بالكثرةِ ولكنَّا نقاتلُ بالنَّصْرِ.

فقال عمر رضي الله عنه:

---

(١) ألب إليه القوم : أتوه من كل جانب.

« أَجَلْ واللهِ لئنْ شَخَصْتُ مِنْ هذه البلدةِ لتنتَقِضنَّ علىَّ الأرضُ مِنْ أَطرافِها وأَكنافِها، ولئنْ نظرتْ إلىَّ الأعاجمُ لا يُفَارِقُنَّ العَرْصَةَ[1]، ولَيُمِدَّنَّهم مَنْ لَمْ يُمِدَّهم، وليقولنَّ : هذا أَصْلُ العَرَبِ، فإذا اقتطعتموهُ اقتطعتمْ أصلَ العربِ؛ فأَشيروا علىَّ برجُلٍ أُولِّه ذلكَ الثَّغر غدًا».

قالوا : أنت أفضل رأياً، وأحسن مقدرة.

قال : «أَشيروا علىَّ بهِ واجعلوه عِراقِيّاً».

قالوا : يا أميرَ المؤمنين، أنت أعلم بأهل العراق، وجندك قد وَفَدُوا عليك ورأيتهم وكلَّمتهم.

فقال : « أمَا واللهِ لأُوَلِّيَنَّ أَمْرَهُمْ رجلاً ليكونَنَّ لأولِ الأسنَّةِ إذا لَقِيَها غداً ».

فقيل : مَنْ يا أمير المؤمنين ؟.

فقال : « النُّعمانُ بنُ مُقَرِّن المُزَنِىُّ ».

فقالوا : هُوَ لها.

والنعمانُ ـ يومئذٍ ـ بالبصرةِ، فولاَّه.

[تاريخ الطبرى (٤ / ٢٣٨)]

---

(١) أى: الساحة.

ونَشِبَ القتـال بين المسلمين والفرس، وكـان النعمان يسـير فى الناس على برذَوْنٍ(١) أَحْـوَى(٢)، قريب من الأرض.. فـيقف على كل راية، ويحمد الله، ويثنى عليه، ويقول :

نص خطبة النعمان بن مقرن رضي الله عنه

«قَدْ علمتُم ما أعزَّكم اللهُ به منْ هذا الدين، وما وَعدَكم منَ الظهور، وقَـدْ أنجـزَ لكم هَوادى (٣) ما وَعدَكم وصُدوره، وإنَّمـا بقيتْ أعـجازُه وأكارعُه، واللهُ منجزُ وَعْده، ومُتْبِعُ آخرِ ذلكَ أوَّلَهُ، واذكروا ما مضَى إذْ كنتم أذلَّة، وما استقبلتُم منْ هذا الأمْر وأنتمْ أعزَّة، فأنتمُ اليومَ عبادُ الله وأولياؤه، وقَدْ علمتم انقطاعَكم منْ إخوانكم منْ أهل الكُوفة، والذى لهم فى ظَفَـركُم وعزِّكم، والذى علَيهم فى هزيمتكم وذُلِّكُم، وقـد ترونَ مَنْ أنتم بإزائه منْ عدوِّكم، ومَا أخطرتُم وما أخطروا لكم، فَأمَّا ما أخطروا لكم فَـهـذه الرِّئَة (٤) وما ترونَ منْ هذا السَّواد، وأمَّا مَا أخطرتم لهمْ فدينُكُم وبيضَتُكم،ولا سَواءٌ ما أخطرتُم وما أخطروا، فلا يكُونَنَّ علَى دُنياهم أحْمَى منكم علَى دينكم، واتقى اللهَ عبدٌ صدقَ اللهَ وأبلَى نفسَه

---

(١) البرذون: اسـم يُطلق على غيـر العربى من الخيل والبغـال، وهو من النفـسية الخبيـة، عظيم الخلْقة، غليظ الأعضاء، قوى الأرجل. عظيم الحوافر (المعجم الوسيط ١ ٤٨).

(٢) أحوى: وصف من الحوة، وهى حمرة إلى السواد.

(٣) جمع هادٍ .. أى: أسبابه وأوائله. (٤) الرِّئَة: ضعفاء الناس

فأحسنَ البلاءَ، فإنَّكم بينَ خَيرينِ مُنتظرَينِ : إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ، مِنْ بينِ شَهيدٍ حَيٍّ مرزوقٍ، أو فتحٍ قريبٍ وظَفَرٍ يسيرٍ، فكفَى كُلُّ رجلٍ ما يليه، ولم يَكِلْ قِرنَه إلى أخيه، فيجتمعَ عليه قِرنهُ وقِرنُ نفسه، وذلكَ مِنَ الملأمَةِ، وقد يقاتلُ الكلبُ عن صاحبه. فكلُّ رجلٍ منكم مُسلَّطٌ على ما يليه، فإذا قَضيتُ أَمْرِى فاستعدُّوا ، فإنِّى مُكَبِّرٌ ثلاثاً، فإذا كَبَّرتُ التكبيرةَ الأُولَى فليتهيَّأْ مَنْ لم يكنْ تهيَّأ، فإذا كبَّرتُ الثانيةَ فليشُدَّ عليه سِلاحَهُ وليتهيَّأ للنُّهوضِ، فإذَا كبَّرتُ الثالثةَ فإنِّى حَامِلٌ - إنْ شاءَ الله - فاحْمِلوا مَعاً، اللهمَّ أعزَّ دينكَ وانصرْ عِبادَكَ، واجعلِ النُّعمانَ أوَّلَ شهيدِ اليومِ على إعزازِ دِينكَ ونَصْرِ عِبادِكَ » .

وزلقَ فرسُه فى دماءِ القوم ؛ فصُرِعَ ؛ فاستُشهد.

[تاريخ الطبرى (٤ / ٢٤٢)]

وتوالت الفتوحات الإسلامية - بعد ذلك - وتم المراد من الجهاد فى سبيل الله، بإحدى الحسنيين: النصر أو الاستشهاد - بل بهما معاً - ببركة الاعتماد على الله - تبارك وتعالى - والتوكل عليه .. وببركة الشورى التى كانت متبادلة بينهم ، كما رأينا.

وهذا درس لجميع الولاة - بصفة خاصة - ينبغى أن يتعلَّموا منه كيف يكون الحوار .. بكل صدقٍ وتواضع .. (وكيف) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدير الحوار .. وهو يُلِحُّ على (مجلس الشورى المبارك) ، الذى كان فيه عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب رضي الله عنهما .

(وفى القرآن الكريم) : يشير الله تبارك وتعالى إلى أهمية الشورى فى الإسلام، فيقول سبحانه :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (١).

ويقول سبحانه :

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٢).

ويقول سبحانه:

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِى فِى أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ (٣).

(وفى السُّنَّة المطهَّرة) يقول رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

«إذا كانتْ أُمراؤكم خيارَكُم، وأغنياؤكم سُمحاءَكُم، وأمْرُكم شُورَى بَيْنَكم ؛ فظَهْرُ الأرضِ خيرٌ لكم مِنْ بَطنِها، وإذا كانتْ أُمراؤكم شِرارَكُم، وأغنياؤكم بُخَلاءَكم، وأمْرُكُم إلى نِسائكم ؛ فبطنُ الأرضِ خيرٌ لكم مِنْ ظَهْرِها» .

[أخرجه الترمذى]

---

(١) سورة الشورى: ٣٨. (٢) سورة آل عمران : ١٥٩.

(٣) سورة النمل: ٣٢. والمشار إليها فى الآية هى «بلقيس» ملكة «سبأ» فى اليمن.

وأتاه ﷺ الخبر عن قريش بمسيرهم، ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش؛ فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال:

يا رسولَ الله، امْضِ لما أراكَ اللهُ فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾(١).. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.. فوالذى بعثك بالحقّ.. لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد (٢) لجالدنا معكَ من دُونه حتى نبلغه.

فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به، ثم قال رسول الله ﷺ:

«**أَشِيروا علىَّ أيُّها الناسُ**» .. ويريد الأنصار، وذلك أنهم عَدَدُ الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسولَ الله، إنا برآء من ذمامك حتى تَصِلَ إلى ديارنا، فإذا وصلتَ إلينا فأنتَ فى ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءَنا ونساءنا.

فقال له سعد بن معاذ:

والله لَكأنَّكَ تريدنا يا رسولَ الله؟.

قال ﷺ: أجل.

قال: فقد آمنَّا بك وصَدَّقناكَ، وشَهدنا أنَّ ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناك - على ذلكَ - عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة..

---

(١) سورة المائدة: ٢٤.

(٢) برك الغماد: موضع باليمن.

فامضِ يا رسولَ الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحقِّ، لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضته لخضناه، ما تخلَّف منَّا رجل واحد، وما نكره أن تَلقَى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعلَّ اللهَ يريكَ منَّا ما تقرُّ به عينُك، فَسِرْ على بَرَكَةِ الله !.

وقال الحباب بن المنذر :

يا رسولَ الله، أرأيتَ هذا المنزل، أمنزلاً أنزَلَكَهُ اللهُ ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخَّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟.

فقال ﷺ : «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ والحَرْبُ والمَكِيدة».

فقال : يا رسول الله، فإنَّ هذا ليسَ بمنزل فانهضْ بالناس حتى نأتيَ أدنى ماء من القوم فننْزله، ثم نُغَوِّر [1] ما وراءه من القُلُب[2]، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم، فَنشربُ ولا يشربون.

فقال رسول الله ﷺ : «لَقَدْ أَشَرْتَ بالرَّأي». اهـ [3].

وأحب أن أُسجل هنا ـ كذلك ـ الخطبة التي خطبها أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، بعد أن تم النصر على أهل فارس .. وكان الأحنف ابن قيس قد غزَا خراسان وحارب يزدجرد سنة ٢٢ هـ، ثم أقبل أهل فارس على الأحنف، فصالحوه وعاقدوه ودفعوا إليه خزائن يزدجرد وتراجعوا إلى بلدانهم، وبعث الأحنف بالخبر والغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فجمع الناس وخطبهم، فقال في خطبته :

---

(١) التغوير : الدفن والطمس. (٢) القُلُب جمع قليب، وهو البئر.

(٣) كما جاء في كتاب «منهاج الصالحين» للأستاذ عز الدين بليق، ص ٤٣٩، وما بعدها.

(٢٠) نص خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

«إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ ذكرَ رسولَهُ ﷺ وما بعثهُ منَ الهدى، ووعَدَ على اتّباعه منْ عاجلِ الثَّواب وآجله خيرَ الدُّنيا والآخرة، فقال : ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١)، فالحمدُ لله الذى أنجزَ وَعْدَه، ونَصرَ جُنْدَه. ألاَ إنَّ اللهَ قَدْ أهلكَ مُلكَ المجوسيةِ وفرَّق شملَهُم، فَليسوا يملكونَ منْ بلادهم شبراً يضرُّ بمسلمٍ.. ألاَ وإنَّ اللهَ قد أورثكم أرضَهم وديارَهم وأَمْوالهم وأبناءهم؛ لينظرَ كيفَ تعملونَ.. ألاَ وإنَّ المِصْرَيْنِ منْ مسالحها(٢) اليومَ كأنتم والمِصْرَيْنِ فيمَا مضَى منَ البُعد، وقَدْ وَغلوا فى البلادِ، واللهُ بالغُ أمرِهِ ومُنجزُ وَعْدِه، ومُتْبِعُ آخرِ ذلكَ أَوَّلَه، فقُوموا فى أمرِهِ علَى رجلٍ يُوفِّ لكمْ بعهدِه، ويُؤتكم وعدَه، ولا تُبدِّلوا ولا تُغَيِّرُوا فَيستبدلِ اللهُ بكمْ غيركم، فإنِّى لا أخافُ علَى هذهِ الأمةِ أنْ تُؤتَى إلاَّ من قِبَلِكُم».

[تاريخ الطبرى (٤ / ٢٦٧)]

إنه ـ عليه رضوان الله ـ يشير فى ختام هذه الخطبة إلى ما ورد عن عمرو بن عوف الأنصارى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن

---

(١) سورة الصف: ٩ . (٢) المسالح : جمع مسلحة، وهى الثغر.

الجراح ﷺ إلى البحرين [1] يأتى بجزيتها. فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة، فوافَوْا صلاة الفجر [2] مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ وانصرف، تعرَّضوا له، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال :

«أظُنُّكُم سَمِعتُم أنَّ أبا عُبَيْدَةَ قدمَ بشَيءٍ منَ البحرين ؟ قالوا : أجَلْ يا رسولَ الله. قال : أبْشِروا وأمِّلوا ما يَسُرُّكُم، فوالله مَا الفقرُ أخْشَى عليكم، ولكنْ أخْشَى أنْ تُبْسَطَ الدُّنيا عليكم كَما بُسِطَتْ على مَنْ كَانَ قَبلكم، فتَنَافَسُوها [3] كَما تَنَافَسُوها فتُهلِكُكُم كَما أهْلَكَتْهُمْ».

[رواه البخارى، ومسلم]

وقد وقع فعلاً ما توقَّعه الرسول ﷺ .. وما توقَّعه عمر بن الخطاب ﷺ فى ختام الخطبة السابقة التى وقفنا عليها .. فلقد لعبت الدنيا دوراً كبيراً فى حياة المسلمين والولاة بصفة خاصة حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وحتى ضاعت بعض بلاد المسلمين من بلادهم .. ابتداء من الأندلس ، وبخارى ، وترمذ ... إلخ .. ولا تزال المعارك مستمرة بين المسلمين وأعدائهم حتى يستردوا ما ضاع من بلادهم من أيدى هؤلاء المجرمين المغتصبين الذين فى مقدمتهم اليهود .. ولو تشاور المسلمون -

---

(١) وكان العلاء بن الحضرمى ﷺ قد فتحها على عهد رسول الله ﷺ وكان أهلها مجوساً.

(٢) أى: شهدوا صلاة الصبح مع النبى ﷺ .

(٣) بحذف إحدى التاءين تخفيفاً، أى: تتنافسوا وتتكالبُوا عليها.

كما قرأنا فى النصوص السابقة ـ لتحقق النصر المبين إن شاء الله .. إنه نعم المولى ونعم النصير .. وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

ووصية أخرى لعمر أوصى بها المجاهدين

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للمجاهدين عند عقد الألوية :

« بسْمِ اللهِ وباللهِ، وعلى عونِ اللهِ، امْضُوا بتأييدِ اللهِ، وما النصرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللهِ، ولزومِ الحقِّ والصَّبرِ، فقَاتِلوا فى سبيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ باللهِ، ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يحبُّ المعتدينَ. ولا تَجبنوا عندَ اللقاءِ، ولا تُمثِّلوا عندَ القدرةِ، ولا تُسْرِفوا عندَ الظهورِ (١) ولا تَقتلوا هَرِمًا(٢) ولا امرأةً ولا وليدًا، وتَوَقَّوا قَتْلَهمْ إذا الْتَقَى الزَّحفانِ، وعندَ شَنٍّ(٣) الغاراتِ ».

[العقد الفريد (١/ ٤٠)]

وصية أخرى أوصى بها عمر رضي الله عنه يعلى بن أمية فى إجلاء أهل نجران

روى الطبرى، قال :

---

(١) أى: الغلبة. (٢) أى: كبير السن. (٣) أى: صبها من كل وجه.

كان أول بعث بعثه عمر ﷺ بعث أبى عبيد، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن ، وأمره بإجلاء أهل نجران ، لوصية رسول الله ﷺ فى مرضه بذلك، ولوصية أبى بكر - رحمه الله - بذلك فى مرضه، وقال :

انْتهمْ ولا تَفْتِنْهمْ عَنْ دِينهمْ، ثُمَّ أَجْلِهم مَنْ أقامَ منهم على دينه، وأَقْرِرِ المسلمَ، وامْسَحْ أرضَ كلّ مَنْ تُجلى منْهم، ثُمَّ خَيِّرْهُم البلدانَ، وأَعْلِمْهم أنَّا نُجليهم بأَمْرِ الله ورسوله ألاَّ يُتركَ بجزيرةِ العَربِ دينانِ، فَلْيَخرجوا مَنْ أقامَ على دينه منْهم. ثُمَّ نُعطيهمْ أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحقِّ علَى أَنفسنا، ووفاءً بذمَّتهمْ ، فيما أمرَ الله منْ ذلكَ بدلاً بَينهم وبينَ جيرانهم - منْ أهلِ اليمنِ وغيرهم - فيمَا صارَ لجيرانهمْ بالريفِ ».

[تاريخ الطبرى (٤ / ٦٢)]

وصية عمر للخليفة من بعده

فقد أوصى عمر ﷺ الخليفة من بعده، فقال :

« أُوصيكَ بتقوى الله لا شريكَ له، وأوصيكَ بالمهاجرينَ الأوَّلينَ خيراً، أنْ تعرفَ لهم سَابِقتَهم، وأُوصيكَ بالأنصارِ خيراً، فاقبلْ منْ

مُحْسنهم، وتَجاوَزْ عَنْ مُسيئهم، وأُوصيكَ بأهلِ الأمْصَارِ خيراً، فإنَّهم رِدْءُ العَدُوّ، وجُبَاة الفَيْءِ[1]، لا تحملْ فَيئهم، إلا عَنْ فَضْلٍ منهم. وأُوصيكَ بأهلِ البَادية خيراً، فإنَّهم أصلُ العربِ، ومادةُ الإسلامِ، أنْ تأخذَ منْ حواشي أموالِ أَغنيائهم، فتردَّ على فُقرائهم. وأُوصيك بأهلِ الذِّمَّة خيراً، أنْ تقاتلَ منْ وَرائهم، ولا تُكلِّفهم فوقَ طَاقتهم، إذا أدَّوا ما عليهمْ للمؤمنينَ طَوْعاً، أو عَنْ يدٍ وهم صَاغرونَ. وأُوصيكَ بتقوى اللهِ وشدَّة الحذرِ منه، ومَخافة مَقْته، أنْ يطَّلعَ منكَ على ريبةٍ. وأُوصيكَ أنْ تَخْشَى اللهَ فى الناس، وتَخْشَى الناسَ فى اللهِ. وأُوصيكَ بالعَدْلِ فى الرعيةِ، والتفرغِ لحوائجهمْ وثُغورهم، ولا تؤثرْ غَنيَّهم على فَقيرهم، فإنَّ ذلك - بإذنِ اللهِ - سلامةٌ لقلبكَ، وحطٌّ لوِزْركَ، وخيرٌ فى عاقبةِ أَمْركَ، حتَّى تُفضِى منْ ذلكَ إلى مَنْ يعرفُ سريرتكَ ويحولُ بينكَ وبينَ قلبكَ.

وآمركَ أنْ تشتدَّ فى أَمْرِ اللهِ، وفى حدودهِ ومَعَاصيه، على قريبِ الناسِ وبَعيدهم، ثم لا تَأخُذْكَ فى أحدٍ رأفةٌ حتَّى تنتهكَ منه مثْلَ ما انْتَهكَ منْ حُرْمَة اللهِ، واجعلِ الناسَ عنْدَكَ سواءً، لا تُبالى على مَنْ وَجبَ الحقُّ، ثم لا تَأخُذْكَ فى اللهِ لومةُ لائم، وإيَّاكَ والأَثَرةَ والمحَاباةَ فيمَا ولاَّكَ اللهُ، مما أفاءَ اللهُ على المؤمنينَ، فَتجور وتَظلم ، وتَحرم نفسكَ من ذلكَ ما قد وسَّعه اللهُ عليكَ. وقد أصبحتَ بمنزلةٍ من منازلِ الدُّنيا والآخرةِ، وأنتَ إلى الآخرةِ جدُّ قريبٍ، فإنِ اقترفتَ لدنياكَ عدلاً

---

(١) أى: الغنائم.

وعفةً عمَّا بَسَطَ اللهُ لكَ؛ اقترفتَ به إيماناً ورضواناً، وإنْ غلبكَ الهوَى؛ اقترفتَ به سَخَطَ اللهِ.

وأُوصيكَ ألا ترخِّصْ لنفسكَ ولا لغيركَ فى ظُلم أهلِ الذِّمَّة، وقَدْ أوصيتُكَ وحَضضتكَ ونصحتكَ، فابتَغِ بذلكَ وَجْهَ اللهِ والدارَ الآخرةَ، واخترتُ منْ دلالتكَ ما كنتُ دالاً عليه نفسى وولدى، فإنْ عملتَ بالذى وَعظْتُكَ، وانتهيتَ إلى الذى أَمرْتُكَ، أخذتَ به نصيباً وافراً، وحظاً وافياً، وإنْ لم تقبلْ ذلكَ ولم يهمَّكَ، ولَمْ تنزلْ مَعاظم الأمورِ عندَ الذى يَرضى اللهُ به عنكَ؛ يكنْ ذلك بكَ انتقاصاً، ورأيكَ فيه مدخولاً، لأنَّ الأهواءَ مشتركةٌ، ورأسُ كل خطيئةٍ إبليس، وهو داعٍ إلى كلّ هلكةٍ، وقد أضلَّ القرونَ السالفةَ قبلكَ، فأوردهم النارَ، ولبئسَ الثَّمنُ أنْ يكونَ حظُّ امرئٍ موالاةَ عدوّ اللهِ الدَّاعى إلى معاصيه.

ثم اركبْ إلى الحقّ وخُضْ إليه الغمرات، وكنْ واعظاً لنفسكَ. أنشدكَ اللهَ لمَّا ترحمتَ على جماعةِ المسلمين، فأجللتَ كبيرَهم، ورحمتَ صغيرَهم، ووقَّرتَ عالمهم، ولا تَضْربْهم فيذلوا، ولا تستأثرْ عليهم بالفىء فتُبغِّضهم، ولا تَحرمهم عطاياهم عندَ محلِّها فتُفقرهم، ولا تُجَمِّرْهُمْ (١) فى البعوثِ، فتقطعَ نَسْلَهم، ولا تجعلِ المالَ دُولةً بينَ

(١) جمر الأمير الجيش: جمعهم فى الثغور، وحبسهم عن العودة إلى أهليهم. [المعجم الوسيط ١/ ١٣٣].

الأغنياءِ منهم، ولا تغلقْ بابكَ دُونَهم، فيأكلَ قويُّهم ضَعيفَهم. هذهِ وَصيَّتى إيَّاكَ، وأُشْهِدُ اللهَ عليكَ. وأقرأ عليكَ السلام».

[شرح ابن أبى الحديد (٣/ ٩٦)، والبيان والتبيين (٢/ ٢٢)، وتاريخ الطبرى (٥/ ١٣)].

وفى رواية الطبرى :

قال : « وأُوصى الخليفةَ منْ بَعْدى بالأنصار الذين تبوَّأوا الدارَ والإيمانَ أنْ يُحسنَ إلى مُحسنهم وأنْ يعفوَ عَنْ مُسيئهم، وأُوصى الخليفةَ منْ بَعدى بالعربِ، فإنَّها مادةُ الإسلامِ وأنْ يؤخذَ منْ صدقاتهم حقُّها فتُوضَعَ فى فُقرائهم، وأُوصى الخليفةَ منْ بَعدى بذمَّةِ رسولِ الله ﷺ، أنْ يُوفَّىَ لهم بعَهدِهمْ، اللهمَّ هل بلَّغتُ ؟.. تركتُ الخليفةَ منْ بَعدى على أَنْقَى منَ الراحة».

ومن مواعظ أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أخرج الدينورى عن عمر رضي الله عنه أنه وعظ رجلاً فقال :

« **لا تُلْهِكَ الناسُ عَنْ نفسكَ، فإن الأمرَ يصيرُ إليكَ دُونهم، ولا تقطعِ النهارَ سَارباً فإنه محفوظٌ عليكَ ما عملتَ، وإذا أسأتَ فأحْسِنْ فإنى لا أرى شيئاً أشدَّ طلباً ولا أسرعَ دركةً مِنْ حَسَنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديمٍ** » .

[كذا فى الكنز (٨/ ٢٠٨)]

وأخرج البيهقى عن عمر رضي الله عنه قال :

« **اعتزلْ ما يؤذيكَ وعليكَ بالخليلِ الصَّالحِ، وقَلَّ ما تجدُه، وشاورْ فى أَمْرِكَ الذين يخافونَ الله** » .

[كذا فى الكنز (٨/ ٢٠٨)]

وأخرج الخطيب، وابن عساكر، وابن النجار، عن سعيد بن المسيب، قال :

وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانى عشرة كلمة حِكَمٌ كلها، قال :

« ما عَاقبتَ مَنْ عَصَى اللهَ فيكَ بمثل أنْ تَطيع اللهَ فيه، وضَعْ أَمْرَ أخيكَ على أحسنه حتَّى يجيئكَ منه ما يغلبكَ، ولا تظُنَّنَّ بكلمةٍ خرجتْ مِنْ مسلمٍ شرّاً وأنتَ تجدُ فى الخيرِ مَحْمَلاً، ومَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ للتُّهم فلا يلومَنَّ مَنْ أساءَ به الظَّنَّ، ومَنْ كتمَ سرَّه كانت الخِيَرةُ فى يده، وعليكَ بإخوانِ الصِّدقِ تَعِشْ فى أكنافهم فإنَّهم زينةٌ فى الرخاءِ وعدةٌ فى البَلاءِ، وعليكَ بالصِّدقِ وإنْ قتلكَ، ولا تعرضْ فيما لا يَعنى، ولا تسألْ عَمَّا لم يكنْ فإنَّ فيما كان شغلاً عمَّا لم يكنْ، ولا تطلبنَّ حاجتكَ إلى مَنْ لا يحبُّ نجاحَها لكَ، ولا تَهَاوَنْ بالحَلِفِ الكَاذِبِ فيهلكَكَ اللهُ، ولا تَصْحَبِ الفُجَّار لتتعلَّمَ من فُجورهم.

واعتزِلْ عدوَّكَ، واحذرْ صديقكَ إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلا مَن خَشِيَ اللهَ، وتخشَّعَ عندَ القبورِ، وذلَّ عندَ الطاعةِ، واسْتَعصم عندَ المعصيةِ، واستشرْ فى أَمْرِكَ الذين يخشونَ اللهَ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقول:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١).

[كذا فى الكنز (٨/ ٢٣٥)]

وعند أبى نعيم فى [الحلية (١/ ٥٥)] عن محمد بن شهاب قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

---

(١) سورة فاطر: ٢٨.

«لا تعترضْ فيما لا يعنيكَ، واعتزلْ عدوَّكَ، واحتفظْ منْ خليلِكَ إلا الأمينَ فإنَّ الأمينَ منَ القومِ لا يعادلهُ شيءٌ، ولا تَصْحَبِ الفاجرَ فيعلمكَ منْ فُجورِه ولا تُفْشِ إليه سرَّك، واستشرْ فى أمْرِكَ الذين يخشونَ اللهَ عزَّ وجلَّ».

وأخرج ابن أبى شيبة، وابن أبى الدنيا، والخرائطى، والبيهقى، وابن عساكر، عن سمرة بن جندب، قال :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

«الرجالُ ثلاثةٌ، والنساءُ ثلاثٌ : فأما النساءُ فامرأةٌ عفيفةٌ مسلمةٌ لَيِّنَةٌ ودودٌ ولودٌ تُعينُ أَهْلَها على الدَّهْرِ ولا تُعينُ الدهرَ على أهلِها وقليلاً ما تجدُها، وامرأةٌ دعاءٌ لا تزيدُ على أن تلدَ الأولادَ، والثالثةُ غلٌّ قملٌ يَجعلها اللهُ فى عُنقِ مَنْ يشاءُ فإذا شاءَ أنْ ينزعه نزعَه. والرجالُ ثلاثة : رجلٌ عفيفٌ هَيِّنٌ لَيِّنٌ ذو رأيٍ ومشورةٍ، فإذا نزلَ به أَمْرٌ ائتمرَ رأيه وصَدَّرَ الأمورَ مَصادرَها، ورجلٌ لا رأىَ له إذا نزلَ به أَمْرٌ أَتى ذا الرأىِ والمشورةِ فنزلَ عندَ رأيِه، ورجلٌ حائرٌ بائرٌ لا يتمُّ رشداً ولا يطيعُ مُرشداً».

[كذا فى الكنز (٨/ ٢٣٥)]

وأخرج الطبرانى فى «الأوسط» عن الأحنف بن قيس، قال : قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه :

«يا أحنفُ .. مَنْ كَثُرَ ضحْكُه قَلَّتْ هَيبتُه، ومَنْ مَزحَ استُخفَّ به، ومَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُه، ومَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حياؤُه، ومَنْ قَلَّ حياؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قَلبُه».

قال الهيثمى (١٠/ ٣٠٢) : «وفيه دويد بن مجاشع ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» ـ ا هـ.

وأخرجه ابن أبى الدنيا، والعسكرى، والبيهقى وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال :

« مَنْ كَثُرَ ضحكُه قَلَّتْ هَيبتُه، ومَنْ كَثُرَ مزاحهُ استُخِفَّ به، ومَنْ أكثرَ مِنْ شيءٍ عُرِفَ بهِ، ومَنْ كثرَ كلامُه ـ فذكرَ مثله».

[كما فى الكنز (٨/ ٢٣٥)]

وأخرج أبو نعيم فى [الحلية (١/ ٥٥)] عن عمر رضي الله عنه قال :

« إنَّ لله عباداً يميتونَ الباطلَ بهجرِه، ويحيونَ الحقَّ بذكرِه، رَغبُوا فَرُغِبُوا، ورَهِبُوا فرُهِبُوا (١)، خافوا فلا يأمنونَ، أبصروا مِنَ اليقينِ ما لم يُعَايِنُوا فخلطوهُ بما لم يُزايلُوه، أخلصهمُ الخوفُ فكانوا يهجرونَ ما ينقطعُ عنهم لما يبقى لهم، الحياةُ عليهم نعمةٌ والموتُ لهم كرامةٌ، فزُوِّجُوا الحُوْرَ العِيْنَ، وأُخْدِمُوا الولدان المُخَلَّدينَ ».

وأخرج أبو نعيم فى [الحلية (١/ ٥١)] عن عمر رضي الله عنه، قال :

---

(١) رَغِبُوا فَرُغِبُوا، ورَهِبُوا فرُهِبُوا : الأولى من كلا الكلمتين بفتح الراء، والثانية بضمها.

« كُونوا أوعيةَ الكتابِ وينابيعَ العلمِ، وسلُوا اللهَ رِزْقَ يومٍ بيومٍ ».

وأخرج أيضاً عنه أنه قال :

« جَالِسُوا التَّوَّابينَ فإنَّهم أرقُّ شيءٍ أفئدةً ».

وأخرج ابن أبى الدنيا ، والدينورى فى «المجالسة» ، والحاكم فى «الكُنَى» عن عمر ﷺ قال :

« مَنْ خافَ اللهَ لم يشفِ غيظَه، ومَنْ يتقِ اللهَ لم يصنعْ ما يُريدُ، ولولا يومُ القيامةِ لكانَ غير ما ترونَ ».

[كذا فى الكنز (٨/ ٢٣٥)]

وأخرج الخرائطى وغيره، عن عمر ﷺ، قال :

« مَنْ ينصفِ الناسَ مِنْ نفسهِ يُعطَى الظَّفَرَ فى أَمْرِهِ، والتذلُّلُ فى الطاعةِ أقربُ إلى البرِّ من التعزُّزِ بالمعصيةِ ».

[كذا فى الكنز (٨ / ٢٣٥)]

وأخرج ابن أبى الدنيا، وأبو بكر الصولى، وابن عساكر، عن عمر ﷺ أنه كتب إلى ابنه عبد الله بن عمر ﷺ :

« أمَّا بعدُ .. فإنِّى أُوصيكَ بتقوى اللهِ فإنه مَنِ اتقى اللهَ وَقَاهُ، ومَنْ تَوكَّلَ عليهِ كَفاه، ومَنْ أَقْرَضَهُ جَزاه، ومَنْ شَكَرَهُ زادَه، ولتكنِ التقوى نُصْبَ عينيكَ وعمادَ عملكَ وجلاءَ قلبك فإنَّه لا عملَ لمنْ لا نيَّةَ له،

ولا أجرَ لمنْ لا حِسْبةَ له، ولا مالَ لمنْ لا رفقَ له، ولا جديدَ لمنْ لا خَلَقَ له[1] ».

[كذا فى الكنز (٨/ ٢٠٧)]

❑❑❑

(١) خَلَق ـ بفتح اللام ـ :الثوب البالى القديم [مختار الصحاح].

استشهاد عمر بن الخطاب

وبعد أن حكم عمر بن الخطاب ﷺ عشر سنين، ملأ الدنيا فيها عدلاً، شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تكون نهايته فى الدنيا، على يد أبى لؤلؤة المجوسى، وهو غلام فارسى مملوك للمُغيرة بن شُعبة.

وكان المغيرة يأخذ منه ضريبة يومية أربعة دراهم، وضريبة شهرية ستة دراهم.

فاشتكى أبو لؤلؤة لعمر ﷺ من فداحة المال الذى يؤديه للمغيرة، فقال له عمر ﷺ : ما خراجك بكثير، فاتقِّ الله وأَحْسِنْ إلى مولاك ..

ونوى عمر ﷺ فى نفسه إذا لقى المغيرة أن يطلب منه خفض الإتاوة(١) التى يأخذها من مملوكه.

ولكن الحديث هذا كان هو النقطة التى بدأ عندها تنفيذ المؤامرة .. فقد نوى أبو لؤلؤة فى نفسه أمراً أخذ يتهيأ له، وقد دل على نيته حين لقى عمر مرة عَرَضاً، فقال له عمر ﷺ : ذُكِرَ لى أنك تستطيع أن تصنع رَحًى تطحن بالريح (طاحونة هواء).

فنظر إليه الفتى عابساً، وقال :لأصنعنَّ لك رَحًى يتحدث بها الناس..

(١) الإتاوة: الجزية، أو الخَرَاج.

وأحس عمر بما فى كلامه من تهديدٍ باطن، فقال لمن معه : أوعدنى العبد (١).

وكان عمر رضي الله عنه يحس أن أمراً سيحدث له، لم يكن بطبيعة الحال يتبينه على حقيقته، وإلا لاتقاه، فقد ذُكِرَ أنه قال فى حديث له قبل طعنه بأربعة أيام :

« **لَئِنْ سلَّمنى اللهُ لأَدعنَّ أرامل العراقِ لا يحتجنَ إلى رجلٍ بعدى أبدًا** » .

وكان رضي الله عنه يقول :

« **لو عشتُ لأخذتُ فُضولَ أَموالِ الأغنياءِ فرددتُها على الفقراء؛ ليسَ أحدٌ أحقَّ بهذا المالِ من أحدٍ ؛سأُلحقُ أواخرَ الناسِ بأوائلها، وليأتينَّ المرأةَ فى صَنعاءَ نَصيبُها منْ هذا المالِ. ولأطوفنَّ بالأمْصَارِ، فأقيمُ بكلِّ قطرٍ شَهرينِ؛ فإنّى أعلمُ أنَّ للناسِ حَوائجَ تُقطعُ دُونى ،أمَّا عُمَّالهم فلا يَرفعونها إلىَّ، وأمَّا الناسُ فلا يَصلونَ إلىَّ** » .

ونفَّذ العبد وعده .. وقتل عمر .

وكان عمر رضي الله عنه قد خرج لصلاة الفجر، ومرَّ فى الصفوف يسوِّيها، ثم

---

(١) أى: هددنى.

استقبل القبلة، وقال : الله أكبر .. ولكنه لم يبدأ بعد التكبير فى صلاته. وإنما سُمِعَ فى الصفوف القريبة، صوته وهو يقول :

« **قتلنى الكلب** ». ثم خَرَّ صريعاً على الأرض وهو يتمتم :

﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾ (١).

وتلفَّت مَنْ فى الصفوف القريبة فإذا أبو لؤلؤة يحاول أنْ يفرَّ، وفى يده خنجر مشروع، لا يقترب منه أحد إلا طعنه، حتى بلغ جملة من طعن تسعة من المسلمين خَرُّوا صَرْعَى، وَعَدَا وراءه عبد الرحمن بن عوف فألقى عليه برنساً، شَلَّ حركته، ولما أدرك الجانى أنه وقع طعن نفسه، وهو داخل البرنس، وسقط صريعاً .. ثم عاد عبد الرحمن مسرعاً إلى عمر فإذا هو يلهث وقد تفجرت الدماء من جنبه وجراحه، وعمر يحاول أن يحبسها بملحفة صفراء كانت عليه.

وانكبَّ عليه فى جزع، فأشار عمر إلى المحراب يطلب منه أن يصلِّى بالناس، فصاح عبد الرحمن : يا أيها الناس .. الصَّلاةَ .. الصَّلاة.

ثم صلى بهم صلاة خفيفة قرأ فيها أقصر سورتين ..

ودخلوا بعمر ﷺ بعد ذلك إلى بيته، وكان قريباً من المسجد، فلما وضعوه، وكشفوا على جراحه؛ وجدوا به ست طعنات أفدحها واحدة

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٨.

نفذت فى جنبه، وهى مفتوحة كفم القربة .. وأفاق عمر قليلاً وسأل : «**أصلَّى الناسُ ؟**» .. فأُجيب بالإيجاب .. فقال لعبد الله بن عباس، وكان قريباً منه : « **اخرجْ فانظرْ مَنْ طَعننى ؟** » .

فلما قيل له : إنه أبو لؤلؤة، غلام المغيرة ، وتأكد له أنه ليس عربياً ولا مسلماً، قال :

« **الحمدُ لله الذى لم يجعلْ قاتلى يُحَاجِجْنِى عندَ الله بسجدةٍ سَجَدَها له قَطُّ .. ما كانتِ العربُ لتقتلنى** » .

ثم قال لابنه :

« **استأذنْ عائشةَ أنْ أُدفنَ معَ رسولِ الله، ثُمَّ أَعِدْ عليها الاستئذانَ بعدَ موتى، فربما تأذنُ لى الآنَ لسُلطانى** » .

وبكت عائشة رضي الله عنها وقالت :

« **واللهِ كنتُ أريده لنَفْسى** (١) ، **ولأُوثرنَّهُ اليومَ على نَفْسى** » .

وأمر عمر ابنه أن ينزله على الأرض ويضع خَدَّهُ على الأرض، ثم قال:

« **لعلَّ اللهَ ينظرُ إلىَّ فيَرحمنى. ليتَ أُمّى لم تلدنى. ليتنى كنتُ نسياً منسياً !.. وَيْلِى إنْ لم يغفرِ الله لى** » .

وبعد أن فاضت روحه وصعدت إلى جوار ربها، حملوا جثمانه،

(١) تعنى أنها كانت تريد أن تدفن هى فى هذا المكان الطاهر.

فوقفوا به على باب عائشة رضي الله عنها، فقال عبد الله بن عمر : «يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه».. وردت عائشة رضي الله عنها :

«ادخلْ بسلام».

فوضعوا رأسه عند كَتِفَيْ أبى بكر، كما كانوا قد وضعوا رأس أبى بكر عند كَتِفَيْ رسول الله ﷺ.

وكان عمر رضي الله عنه قبل أن تفيض روحه، قد طُلب منه أن يعيِّن خليفة فأَبَى، ثم أغمض عينيه وظل فى احتضاره حتى انتقل إلى رحمة مولاه.

وقيل إنه رضي الله عنه اختار ستة من زعماء المسلمين هم : على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وأضاف إليهم طلحة، وطلب منهم إذا مات أن يجتمعوا، ويختاروا من بينهم خليفة، على أن يصلِّى صهيبٌ بالمسلمين.. حتى يتم الاختيار.

وباختصار: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه هو الخليفة الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم.